كنوز الفرقان

مجلة علمية دينية ثقافية فى علوم القرآن الكريم

يصدرها

الاتحاد العام لجماعة القراء

المسجل بوزارة الشئون رقم ٨٣٣

العددان الثالث والرابع	ربيع أول ربيع آخر ١٣٧٢ نوفمبر وديسمبر ١٩٥٢	رئيس التحرير على محمد الضباع	السنة الخامسة

رضا الوالدين

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ عبد الوهاب خلاف

روى الإمام أحمد عن عمر بن مرة الجهنى قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الخمس ، وأديت زكاة مالى ، وصمت رمضان ـ مالى ؟ فقال ﷺ : « من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة ـ ونصب أصبعيه ـ ما لم يعق والديه » .

أفضل ما يدخر الإنسان للنجاح والتوفيق فى هذه الحياة ، والفوز برضا الله ورحمته فى الحياة الآخرة ـ رضا الوالدين .

وأسوأ ما يشقى به الإنسان فى هذه الحياة ، ويستحق عليه سخط الله وعذابه فى الحياة الآخرة ـ غضب الوالدين .

وبر الوالدين : الإحسان بهما ، والقيام بحقوقهما ، وتكريمهما ، والتزام طاعتهما ، واجتناب كل ما فيه إساءة لهما ، وفعل ما يرضيهما ، فمن قام بهذا استحق رضا الله عليه، ومعونته وتوفيقه .

وعقوق الوالدين : إهمال حقوقهما ، والخروج عن طاعتهما ، وفعل ما لا يرضيهما ، وإيذاؤهما ولو بكلمة مرة ، أو نظرة شزرة ، فمن فعل شيئاً من هذا استحق سخط الله ، وحرم معونته، وارتكب إثما من أكبر الكبائر في الإسلام وأضاع ثواب ما عمله من حسنات .

هذا رجل جاء إلى النبي ﷺ وأخبره أنه قام بأركان الإسلام لأنه آمن بالله ورسوله ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وصام رمضان . وسأل رسول الله عن الذى له من الأجر على ما عمل ، فقال له الرسول : « من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة ، ما لم يعق والديه » . فهذا يدل على أن من عق والديه لا ينال هذه المكانة عند الله ، لأنه خلط عمله الصالح بأسوأ السيئات فى الإسلام ، وهو عقوق والديه . ويدل على أن من عق والديه قد خسر خسارتين : ارتكب أكبر الكبائر من الآثام ، وأضاع ثواب ما عمله من الحسنات . قال رسول الله ﷺ : « ثلاث لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، والفرار يوم الزحف » .

ذلك لأن من عق أباه وأمه ، وأهان أحدهما ولو بكلمة ، قد أساء إلى أحق الناس منه بالإحسان ، وأهان أولى الناس منه بالتكريم والتقدير ، وجازى الخير بالشر ، والنعمة بالنقمة ، وعامل بالقسوة أشد الناس به رحمة ، وجاهر بالعداوة أكثر الناس له محبة ، وهذا عنوان غلظة القلب ، وخبث النفس ، وغضب الله عليه .

فأبوه كم كد ، وكم سعى وقاسى ليربيه ويقوم بشئونه حتى يبلغ أشده ،وكم آثره على نفسه ، وحاطه برعايته وعنايته ، وعطفه ورحمته، وكم احتمل المتاعب لراحته وذاق مر المذلة فى سبيله .

وأمه كم عانت من الأهوال والمتاعب في حمله ، وتعرضت للأخطار في وضعه واحتملت الآلام والمكاره في رضاعه وفطامه ، وحضانته وتربيته ، وكم سهرت لينام ، وتعبت ليستريح ، ومرضت ليشفى ، وشقيت ليسعد .

فكافأتهما على هذا بعقوقهما وإهمال حقوقهما ، وإيذائهما والإساءة إليهما ، من أشنع الظلم والجحود ، ومن أفظع الغلظة والقسوة ، ومن أقوى الأدلة على فساد الطوية ونقص الإنسانية . ومن لا خير فيه لوالديه ـ وهما أحق الناس بخيره ـ فلا خير فيه لأحد ، ومن ضيع حق أعز الناس عليه لا يؤمن على حق أحد .

ولهذا وصى الله الإنسان بوالديه ، وذكره بما قاسته أمه . فقال عز شأنه في سورة الأحقاف « ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً ، حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً ، وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » . وقال عز شأنه في سورة لقمان « ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين » .

وقرن الله عبادته وتوحيده ببر الوالدين والإحسان بهما . فقال جل ثناؤه : « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

وقرن رسول الله الشرك بالله بعقوق الوالدين وإيذائهما . فقال ﷺ (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟) ثلاثا ـ قلنا بلى يا رسول الله . قال « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس وقال « ألا وقول الزور ، وشهادة الزور » .

وجعل رسول الله بر الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله ، روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال « جاء رجل إلى نبي الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد . فقال : « أحي والداك ؟ » قال نعم . قال : « ففيهما فجاهد » .

وقال ﷺ : « رضا الله تبارك وتعالى في رضا الوالدين ، وسخط الله تبارك وتعالى في سخط الوالدين » .

وروى أبو داود أنه جاء رجل من بنى سلمة فقال : يارسول الله هل بقى من بر أبوى شىء وأبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « نعم : الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما ،وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما » .

وفى هذا الحديث إرشاد نبوى كريم إلى أن بر الوالدين كما يجب لهما على أولادهما فى حياتهما ، يجب لهما بعد موتهما . وإلى أن من فاته أن يبر والديه فى حياتهما فلا ييأس لأن له سبيلا إلى أن يبرهما بعد موتهما .

فمن دعا لوالديه بالرحمة والمغفرة فقد برهما. ولهذا قال جل ثناؤه: « وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً » . وقال رسول الله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له بالخير » فالولد الصالح الذى يدعو لوالديه بالخير هو من عملهما الصالح،وينالان الثواب من الله بصلاحه ودعائه ، ودعاؤه لهما بر بهما ، ويجزى عليه هو أيضاً خير الجزاء .

ومن أنفذ عهد والديه وما وصياه به من خير وبر ، فقد بر والديه ، لأنه أطاعهما ، ونفذ رغبتهما ، وحقق لهما ما يرجوان به مثوبة الله .

ومن وصل أقاربه الذين يتصلون به وبأبيه وأمه ، أو بأحدهما ، كإخوته وأخواته ، وعماته وخالاته ، وأجداده وجداته ، فقد بر والديه ، لأن والديه هما سبب الصلة لهؤلاء الأقارب ، فالإحسان إليهم تقدير للصلة، وتذكير بسببها . والأخت التى يصلها أخوها ويحسن إليها تترحم على والديها اللذين أثمرا هذه الأخوة ، والخالة التى ينالها الخير من بر أختها تترحم على أختها التى كانت سبباً لهذا الخير . وكل قريب أسدى إليه معروف من قريبه ذكر أصل القرابة بالخير . ولهج لسانه بالدعاء .

ومن أكرم صديق والديه فقد بر والديه ، لأن هذا الإكرام يذكر الصديق بالوالدين، وينطق لسانه بالدعاء لهما ،وفيه تقدير لحق الوالدين حتى بعد موتهما . ولهذا قال رسول الله ﷺ « احفظ ود أبيك » .

ومن شر العقوق : اعتداء الولد على أمه ، واستغلال ضعفها ورحمتها لإيذائها وإهمال حقوقها ، لأن هـذا فوق أنه كفر بالنعمة ، وقسوة فى أحق مواطن الرحمة ، فيه جبن ونذالة ، واستغلال ضعف الضعيف . ولهـذا روى البخارى عن أبى هريرة قال : (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : (يارسول الله من أحق بحسن صحابتى ؟ قال : أمك . قال ثم من ؟ قال : امك . قال ثم من ؟ قال : أمك . قال ثم من ؟ قال : أبوك) .

ومن شر العقوق أن يجلب الولد اللعن لأبويه ، بأن يلعن أبوى الناس فيلعنوا أبويه . وهذا من أسوأ المساوىء التى اعتادها الشباب الآن ، ففى مزاحهم وأحاديثهم ، لسبب ولغير سبب يتبادلون شتم آبائهم وأمهاتهم ويجعلون أعراضهم مضغة فى أفواههم . روى البخارى عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يارسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال « يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه وأمه »

فيا معشر الشباب من بنات وبنين إن أردتم النجاح فى دنياكم ، ورضا الله ورحمته فى أخراكم ، فبروا والديكم ، وأدوا حقوقهما ، وكرموهما واجتنبوا ما يغضبهما ، واحذروا عقوقهما وسخطهما ، فإن عاق والديه لا ينجح فى دنياه ولاينال رحمة الله فى الآخرة . وأكثر الذنوب جزاؤها أخروى ، أما عقوق الوالدين فجزاؤه أخروى ودنيوى ، ولو بحثتم فى سر نجاح أكثر الناجحين لتبين لكم انه رضا الوالدين ، ولو بحثتم فى سر خيبة أكثر الخائبين لتبين لكم أنه غضب الوالدين ، واعلموا أنه كما يدين المرء يدان ، وبالكيل الذى يكيل به يكال له .

ومن بر والديه بره أولاده ، ومن عق والديه عقه أولاده .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بروا آباءكم تبركم أبناؤكم ، وعفوا يعف نساؤكم » .

عبد الوهاب خلاف

تفسير القرآن الكريم

«سورة الرحمن»

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فرغل البليني – المفتش بالأزهر الشريف

– ٢ –

بعد هذه كله أخبر المولى سبحانه وتعالى عن نعمة وارفة الظلال دانية القطاف : هى نعمة جرى الشمس والقمر فى منازلها بحساب مقدر لا يشذ ولا يتغير ، ولا يتبدل ولا يتحول ، لنعرف الأوقات والفصول ، والشهور والأعوام ، ونعلم عدد السنين والحساب ، وبذلك تنظم أحوالنا وأمورنا ، ونرتب شئوننا وأعمالنا ، فنضبط أوقات الزرع والثمر ، والتجارة والمعاملة ، والأخذ والإعطاء .

ثم قال سبحانه وتعالى : إن النبات بنوعيه : من النجم الذى لا ساق له ، والشجر الذى له ساق ، يسيران بطبعهما على ما شاء الله منهما وما أراد من إحداثهما ، فينبتان ويثمران ، وينموان ويعظمان ، حتى يستفيد منهما الإنسان والحيوان بما يحقق البغية ، ومسد الحاجة .

ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه رفع السماء فوقنا ، لتكون مظهراً لقدرته ، ومنشأ لحكمته ، ومسكنا لملائكته ، وأبان أنه خلق آلة الوزن ، لئلا يجور الناس فى الوزن ، فيهضموا الحقوق ، ويسلبوا الأموال ، ويستمرئوا الظلم والعدوان وبعد هذا أمر الناس بتقويم الوزن بالعدل وترك النجس فى الموزون ، لتصفو القلوب ، وتتآلف النفوس وتتوفر الثقة ، ويذوق الناس حلاوة النعمة ، ويرفرف عليهم علم الوفاق والوئام .

ثم أعلمنا جل وعلا أنه خلق الأرض لمخلوقاته : من الإنس والجن والطير والحيوان ، والدواب والحشرات ، وجعل فيها الفاكهة الكثيرة ، والنخل المثمر ، والحب المتنوع ، والتبن المتراكم ، والرزق المتباين ، ليجد كل مخلوق حاجته ، ويعيش عيشة راضية .

إن كل هذه النعم تنطق بوحدانية الواهب ، وتفرد المعطى وتوحى بشكر الإله وحمده ، وإجلاله وتعظيمه ، وتسبيحه وتقديسه .

ولكن الناس لم يدركوا حكمة الله فيها ، ولم يستبينوا وجه الحق منها ، فرقوا وضلوا وتنكبوا طريق الحق وذلوا ، فبكتهم الله أشد تبكيت وقرعهم أفظع تقريع فقال سبحانه وتعالى : فبأى فرد من أفراد هذه النعم تكذبان أيها الثقلان ، وهى لسان صدق على وحدانية الموجد وشاهد عدل على تنزهه من الولد والشريك . « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » والله أعلم .

ثم قال تعالى :

« خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

هذه الآية تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بواجب شكر النعم المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين .

والمراد (بالإنسان) سيدنا آدم عليه السلام . و (الصلصال) الطين اليابس الذى يسمع له صلصلة أى صوت إذا نقر و (الفخار) هو الخزف ، أى ما أحرق من الطين حتى تحجر .

وإنما شبهت به طينة آدم ، لأن كلا منهما يسمع له صوت إذا نقر .

وقد ورد هنا إشكال ، حاصله كيف قال هنا : « من صلصال كالفخار » وقال فى سورة الحجر : « من صلصال من حمأ مسنون » أى طين أسود متغير ، وقال فى سورة الصافات : « من طين لازب » ؟ أى لازق يلصق باليد . وقال فى سورة آل عمران : كمثل آدم خلقه من تراب»

وأجيب بأن هذه الآيات كلها متفقة فى المعنى، لأنه تعالى خلقه من تراب : جعله طيناً ، ثم جعله حماً مسنونا، ثم جعله صلصالا . اه من الجمل والآلوسى .

و (الجان) هو أبو الجن ، ثم قيل فى بيان : هو إبليس ، وقيل : هو خلق آخر . و(المارج) هو اللهب الخالص الذى لا دخان فيه . وقوله : « من نار » بيان للمارج ، أى مارج مأخوذ من نار .

(بيان المعنى الإجمالى)

لبيان هذا المعنى نقول : إن الله سبحانه وتعالى امتن على بنى الإنسان وأفراد الجن : بأن جعل مبدأ الأولين الصلصال . ثم طور خلقهم حتى جعلهم فى أحسن تقويم ، وجعل مبدأ الآخرين النار الخالصة ، ثم حولهم إلى أجسام لطيفة لها خواص وأوصاف ، وقدرة على التشكل والتحول .

ومع ذلك لم يشكروا النعمة . وجحدوا الموجد ، وانغمسوا فى ظلمات الجهل والغفلة ـ ولذلك وبخهم المولى وبكتهم فقال : « فبأى آلاء ربكما تكذبان » . أى فبأى نعم ربكما التى أفاضها عليكما فى تضاعيف خلقكما تكذبان وتجحدان ؟ مع أنها ناطقة بشكر موليها ، ووحدانية مسديها .

ثم قال تعالى :

« رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان » . تقدير الكلام هنا : الذى فعل ما ذكر من الأفاعيل البديعة هو رب المشرقين . . إلخ . .

و(المشرقان) هما مشرقا الشمس صيفاً وشتاء ، وكذا المغربان .

فالشمس تطلع فى الصيف من مكان خاص ، وتطلع فى الشتاء من مكان خاص ، وكذلك غروبها .

فهى فى الصيف تقرب منا كثيراً فى الشروق والغروب ، وفى الشتاء تبعد عنا كثيراً ، ويظهر أثر ذلك فى شدة الحرارة صيفاً ، وهبوطها شتاء .

وقد ورد هنا اعتراض حاصله : ما الحكمة فى اختصاص المشرقين والمغربين بالذكر ، مع أن للشمس

فى كل يوم مشرقا ومغرباً يخالف بعضه البعض .

وأجيب : بأن المراد بالمشرقين موضعا غاية انحطاط الشمس فى الشتاء وغاية ارتفاعها فى الصيف ، وكذلك المغربان - فقد ذكر فى الآية الكريمة الطرافان الطرفان فى الشروق والغروب ، وذكر الطرفين يقتضى أن يكون رب ما بينهما ، من المشارق والمغارب أيضاً . اه رازى .

ويدل لهذا قوله تعالى فى سورة الصافات : « رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق » . فإن التقدير : ورب المشارق والمغارب ، فحذف (والمغارب) اكتفاء بذكر الضد ، لأنه يدل على ضده . والمراد بالمشارق والمغارب مشارق الشمس أيام السنة ومغاربها . اه جلال .

ومما لا شك فيه أنه ينشأ عن اختلاف المشرقين والمغربين فوائد لا تحصى تعود نعمتها على أهل الأرض ، كاعتدال الهواء ، واختلاف ما يناسب كل فصل فى وقته ، ومع ذلك غفل الثقلان عن عن نعمة الله فى تعدد المشرقين والمغربين ، فلم يفردوا المنعم بالعبادة ، ولم يشكروا له تلك النعمة الخالدة البالغة .

ولذلك وبخهم المولى وبكتهم فقال جل وعلا : فبأى فرد من أفراد نعم ربكما تكذبان ، مع أن كل فرد منها ناطق بوجود الإله العظيم ، شاهد بوحدانيته .

ثم قال تعالى :

« مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

(الشرح والبيان)

« مرج البحرين » أرسلهما وأجراهما . و(البحران) هما البحر الملح والبحر العذب ، وتسميته النهر العذب بحراً مع أن البحر خاص بالملح من باب التغليب ، كما يقال : الشمسان للشمس والقمر ، والعمران لأبى بكر وعمر ، والأبوان للأب والأم .

والظاهر أن المراد بهما جنس البحرين ، لا خصوص بحرين . -

والدليل على أن المراد بهما البحر الملح والنهر العذب قوله تعالى فى سورة الفرقان : « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » .

« يلتقيان » أى حال كونهما مقدراً التقاؤهما .

والمراد أنهما يلتقيان عند المصب أى فى المكان الذى يصب فيه النهر من البحر الملح .

فمثلا نهر النيل يسير فى مجراه من الجنوب إلى الشمال إلى أن يصب فى البحر الأبيض المتوسط عند دمياط ورشيد ، فالله تعالى أرسل النيل فى مجراه ، وأرسل البحر الأبيض فى مجراه ، ثم قدر التقاءهما عند المصب .

(بينهما برزخ) أى أرسل البحرين حال كونهما مقدراً التقاؤهما، وحال كونهما بينهما برزخ أى حاجز .

واختلف فى ذلك الحاجز الذى جعله الله فاصلا بين البحرين .فقيل: هو حاجز من قدرة الله يمنع أحدهما أن يطغى على الآخر ويختلط به .

وقيل:هو حاجز من أجرام الأرض والذى أراد أنه حاجز أوجده الله فى طبيعة الأرض، وذلك أن الأنهار تجرى دائماً من ارتفاع إلى انخفاض حتى تصب فى البحر الملح ، فمجرى النهر مرتفع عن موضع المصب فى البحر ، فلا يمكن والحالة هذه أن تسير مياه البحر فى مجرى النهر لعلوه ، ولا يمكن لمياه النهر أن تؤثر فى مياه البحر لكثرتها .

فمعنى (لا يبغيان) بناء على هذا لا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية ، فلا يمكن للملح أن يسلب حلاوة النهر بالجرى فيه ، ولا يمكن للعذب أن يسلب ملوحة البحر باختلاطه . والله أعلم .

(بيان المعنى الإجمالى)

أرسل الله البحر الملح والنهر العذب فى مجريهما حال كونهما مقداراً التقاؤهما عند المصب ، وحال كونهما بينهما حاجز عند التقاء الماءين يمنع أن يتأثر ماء أحدهما بطبيعة الآخر فلا الملح يطغى على الحلو حتى يسلب حلاوته ، ولا الحلو يؤثر فى الملح

حتى يذهب ملوحته ، بل كل منهما يحتفظ عند الالتقاء بخواصه ، حتى تتحقق النعمة المرادة من كل منهما على أكمل وجوهها .

إذا كان الأمر كذلك ، فبأى فرد من أفراد نعم الله تكذبان ، فهلا اعتبرتم بهذه النعم المتجلية فى فوائد البحار والأنهار فآمنتم بالله وصدقتم وأذعنتم لأوامره وأسلمتم ؟ !

« يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ، فبأى آلاء ربكما تكذبان »

الشرح والبيان

(اللؤلؤ) صغار الدر . و(المرجان) خرز أحمر .

ويدل ظاهر الآية — بناء على ما ذكرناه من أن المراد بالبحرين البحر الملح والنهر العذب — على أن اللؤلؤ والمرجان يخرجان منهما ، مع أن المشاهدة دلت على أنهما لا يخرجان إلا من البحر الملح .

وأجيب بأنهما يخرجان من ملتقى العذب والملح ، أى عند نقطة التقاء الماءين ، وهذا لا ينافى أنهما يخرجان من أمكنة أخرى فى البحر الملح ، ولكنهما يكثران عند التقاء الماءين .

هكذا قيل : وقد رأيت من مدة فى بعض المجلات العلمية أن علماء الاكتشاف عثروا على اللؤلؤ والمرجان فى بعض الأنهار كما عثروا عليهما فى البحار ، وقال ذلك المكتشف : إن اكتشافى هذا يؤيد القرآن الكريم . وإذا كان الأمر كذلك يكون المعنى :

يخرج من كل منهما اللؤلؤ والمرجان اللذان هما من نعم الله الفائضة التى تدر الأموال ، وتكسب الغنى والثراء .

فبأى فرد من هذا النعم تكذبان وهى أكبر دليل على وجود البارى ووحدانيته وتفرده .

ثم قال تعالى :

«وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ،فبأى آلاء ربكما تكذبان »

(والجوار) السفن جمع جارية . قال تعالى : « إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية » أى فى السفينة .

(المنشآت) أى المرفوعات الشرع (بضم الشين والراء) جمع شراع ، وهو القلع .

« فى البحر » متعلق بالمنشآت .

« كالأعلام » حال ، وتقدير الكلام وله الجوار المرفوعات الشرع فى البحر حال كونها كالأعلام ، أى الجبال ، جمع علم وهو الجبل .

و (المعنى) - إن لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه له جرى السفن التى رفعت قلاعها فى البحر حال كونها كالجبال فى العلو والعظمة ، فالجرى بيد الله وحده من غير مدخل للعبد فيه ، فهو جل شأنه يجريها على متن الماء ويحفظها من الرياح الهوجا ، أما الصنع والتركيب فهو فى الظاهر من عمل العبد ، وإن كانت الهداية إليه من الله تعالى ، وكانت مواد التركيب من صنعه جل وعلا .

وإذا كان جرى السفن المرفوعات الشرع لله وحده ، وكان فى ذلك مظهر رائع من مظاهر قدرته ، ونعمة وافرة من آلائه وكرمه ، ذلك أنه ينشأ من سير السفن بالمتاع والمتاد ، والقوت والطعام ، وغير هذا رواج وثراء ، وخير ورزق يعم البقاع ، ويملأ الأرجاء .

إذا كان الأمر كذلك فبأى فرد من أفراد تلك النعم المترتبة على جرى السفن وسيرها تكذبان وتجحدان !

ثم قال تعالى :

« كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان » .

(بيان وجه الاتصال)

قال الرازى فى بيان وجه الاتصال : إن الله سبحانه وتعالى لما قال : وله الجوار المنشآت .. إلخ . للإشارة إلى أن كل واحد يعرف ويجزم بأنه إذا كان فى البحر فروحه وجسمه وماله فى قبضة قدرة الله تعالى ، فإذا خرج إلى البر ونظر إلى الثبات الذى للأرض ، والتمكن الذى له فيها ، فإنه ينسى أمره ، ويغفل عما كان فيه من خطر ، وعما تعرض له من هلاك .

فذكر الله هذه الآية للإشارة

إلى أنه لا فرق بين حالة الشخص فى البحر وحالته فى البر بالنسبة إلى قدرة الله تعالى ، فمن يكون على اليابس من الأرض مثل من يكون على وجه الماء منها فى تعرضه للفناء والزوال اه مع تصرف .

(الشرح والبيان)

(كل من عليها) أى كل من على الأرض التى وضعت للخلق ، من للعاقل وغير العاقل ، والنبات والجماد.

والتعبير بكلمة (من) التى للعقلاء لتغليب العاقل على غير العاقل، لأنه المنتفع بالزجر والتهديد ، والتقريع والتبكيت . (فان) هالك .

وفى التعبير بكلمة (فان) مبالغة فى إفناء الله تعالى لمن على الأرض من الخلق ، وذلك أن الفانى هو الذى فنى بالفعل ، وكل من على الأرض ليس بفان بالفعل، بل سيفنى فى المستقبل ، ولكنه لما كان سيفنى لا محالة عبر النظم الكريم بكلمة (فان) للإشارة إلى تحقق فنائه حتى كأنه فنى بالفعل .

(ويبقى وجه ربك) أى ذات ربك عز وجل . فالوجه بمعنى الذات، بدليل قوله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهه) يعنى إلا ذاته .

وإنما قال : (ويبقى وجه ربك) مع أنه لو قال : ويبقى ربك بدون كلمة (وجه) لحصل المراد بحسب الظاهر، لأن فى ذكر كلمة (وجه) حسنا ظاهراً، لأن فيه دفع توهم أن الله ليس بذات، وإثبات أنه ذات وإن كانت مخالفة للذوات بدليل أنها تبقى وغيرها يفنى.

المخاطب بقوله : (ربك) كل من يصلح للخطاب من العقلاء فكأنه قال : ويبقى وجه ربك أيها السامع الواعى ، (ذو الجلال والإكرام) أى صاحب العظمة والكبرياء ، والإنعام والإفضال ، فلا شرف ولا كمال إلا وهو له ، ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهى منه .

وهذا الوصف قد خص به عز وجل ولم يستعمل فى غيره ، فهو من أجل أوصافه سبحانه وتعالى ، ويشهد له ما رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : أنظوا بياذا الجلال والإكرام) أى

ألزموه وأثبتوا عليه. وكلمة(ألظوا) تقرأ بفتح الهمزة وكسر اللام وضم الظاء المشددة .

وروى الترمذى وأبو داود والنسائى عن أنس أنه كان معرسول الله ﷺ رجل يصلى ثم دعا . فقال : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لاإله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام يا حى يا قيوم . فقال ﷺ لأصحابه : أتدرون بما دعا ؟قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « والذى نفسى بيده ، لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

هـذا . وقد ورد هنا إشكال حاصله : كيف ذكرت آية : « فبأى ألاء ربكما تكذبان» بعد هذه الآية وثمان آيات بعدها وكلها تشتمل على ما ليس نعمة .

وأجاب عنه الخازن فقال : فى هذه الآيات مواعظ وزواجر ، وتهديد وتخويف ، وكل ذلك نعم من الله لأنها تزجر العبد عنالمعاصى، فحسن ختم كل آية بها . اه

بيان المعنى الإجمالى

يخبر الله سبحانه وتعالى مخاطباً من يصلح للخطاب من عبـــاده المكلفين ، بأن كل مخلوق على وجه الأرض من الجن والإنس،والحيوان والنبات ، والجامد واليابس، سيلحقه الفناء لا محالة وأنه لا يبقى إلا ذات الإله جل وعلا، وما ذاك إلا ليتذكر الإنسان مآله وفناءه ، فيكف عن المعاصى ، ويقلع عن الغواية ، ويرغب فى الطـاعة ، ويدأب على العبادة .

ثم أتبع هذا الإخبار بقوله سبحانه : وتعالى : فبأى : آلاء ربكما تكذبان) أى بأى فرد من أفراد نعم ربكما تكذبان تلك النعم التى حفلت بالتذكير والتحذير ، وشهدت بوحدانية الإله القدير، وبقاء المـالك الكبير .

ثم قال تعالى :

(يسألهمن فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن فبأى آلاء ربكما تكذبان »

(يتبع)

حفلة الاتحاد العام لجماعة القراء

أقام الاتحاد العام حفله السنوى بالمسجد الحسينى كالمعتاد إحتفاءاً بمولد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فما وافت الساعة التاسعة مساء حتى أقبل رجال الإذاعة اللاسلكية يعدون عدتهم لهذا الحفل المبارك تحت إشراف فضيلة الأستاذ الكبير مدير المساجد وحضرات أعضاء الاتحاد وقد بدىء الحفل بتلاوة من آى الذكر الحكيم من الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الدروى وأعقبه فى روعة وجلال الأستاذ أمين الصيفى فألقى كلمة الاتحاد المنشورة بعد . وبعد ذلك أذاع المطرب الشيخ محمد الطوخى تواشيحه الدينية وقصة المولد الشريف وختم الحفل بتلاوة من آى الذكر الحكيم من فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الصيفى .

وها هى ذى كلمة الاتحاد :

كلمة الاتحاد العام لجماعة القراء

بمناسبة المولد النبوى الشريف

الحمد لله العلى الكبير ، اللطيف الخبير ، السميع البصير ، الذى خلق كل شيء فأحسن التقدير ، ودبر الخلائق أكمل تدبير ، وأرسل رسله الكرام بأصدق الكلام وأبين التحرير ، وختمهم بسيد العالمين البشير النذير الذى صوره فأبدع فيه التصوير ، وعلمه وكمله وجعله هدى ورحمة للعالمين ، وحفظ شريعته من التبديل والتغيير ، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، وأمرهم بالأسوة الحسنة والنظر فى آثار نبيهم الكريم — وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجي من عذاب السعير ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده

ورسوله ، خير نبي وأصـــدق نذير . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد أيها السادة : فى هذه الليلة المباركة السعيدة من ليالى المولد النبوى الشريف ، مولد نبى الرحمة وإمام المرسلين ، يحتفل الاتحاد العام للقراء كعادته فى كل عام بهذه الذكرى الذاكرة ، التى هى نور للقلوب الواعية ، والنفوس المؤمنة الداعية ، مبتهلا إلى الله عز وجل أن يمنحنا بعضا من هذا النور المحمدى ينير لنا الطريق إلى نهضتنا الكبرى ، ويهدينا سواء السبيل إلى غايتنا المثلى التى نرجوها لبلادنا العزيزة فى هذا العهد السعيد المبارك ، فبنور هداه صلى الله عليه وسلم زالت ظلمات الجاهلية واهتدت الشعوب إلى الطريق الأقوم والسبيل الأكرم ، فارتقوا فى مدارج العلا من علم وعمل ، اهتدوا بعد ضلال ، وعزوا بعد ذل ، وعلموا بعد جهل ، واتحدوا بعد فرقة واستقاموا بعد عوج ، ونهضوا بعد كبوة وأغلال .

أيها السادة : ولد نبينا الكريم صلوات الله وسلامه عليه لعشر خلون من شهر ربيع الأول ، فى يوم أغر على الأيام بمولد سيد الأنام ، يوم خفق له قلب الزمان ، وهو يرقب مطلع الفجر الوليد ببطاح مكة المكرمة ، يوم تفتحت فيه أبواب السماء بخير منهمر ، أضاءت له كواكبها ، وسبحت به ملائكها وأذن فى الملأ الأعلى بمولد أشرف الخلق وخاتم الرسل والانبياء ، فانبعث مع نور ضياه ، نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ، إهتز له إيوان كسرى ، وخبت نيران المجوس الوارية إلى الأبد إيذانا بمطلع الفجر الجـــديد فى النور الجديد .

ولد صلوات الله وسلامه عليه يتيم الأب ، وما كاد يبلغ السادسة من عمره ، حتى توفيت والدته رضوان الله عليها بالأبواء وهى فى طريقها إلى المدينة ، فنشأ يتيما فى أحضان جده عبد المطلب ثم عمه أبى طالب ، وتولاه رب العزة

جل جلاله ، فاصطفاه وأولاه ، وعلمه وآواه ، وأدبه ورباه .

(ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى)

صدق الله العظيم .

ولما بلغ عليه السلام أربعين سنة ، بعثه الله نبيا ، ثم رسولا إلى الخلق أجمعين ، وحمله رساله الإسلام دينا للعالمين ، وكان مبعثه بالحق على حين فترة من الرسل ، فى جاهلية جهلاء ، لا تعرف من الحق اسما ولا رسما ، ولا تقيم له فى مقام الحقوق موضعا ولا وزنا ، بل كانت تنتحل ما وجدت عليه آباءها وما استحسنته أسلافها من الآراء المنحرفه ، والمذاهب المبتدعة ، وتتوارثه جيلا بعد جيل ، فلما صدع الرسول لأمر ربه ، وقام فيهم بشيراً ونذيرا ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، عارضوا نبوته بالنكر ، وغيروا وجه صوابه بالإفك ، وأخذتهم العزة بالإثم فحادوا عن الحق كبراً وعناداً . وقالوا ، (أجعل الآلهة إلهاً واحد) ، ولما يئسوا من الكلام منطقاً وحجة ، لجأوا إلى القوة والإيذاء ، يصبونها صباً على النبي وأتباعه ممن شرح الله قلوبهم للإيمان فاستجابو لداعى الحق ، واستماتوا فى سبيل العقيدة ، وقاوم الرسول عليه السلام ما شاء الله له أن يقاوم ، وتلقى المحن والشدائد بعزم جبار ، وصبر لا ينفد ، هو وأتباعه المؤمنين ، حصرته قريش ومن معه فى شعب ابن هاشم ، وضيقوا عليهم وقاطعوهم ونبذوهم نبذ النواة ، ومنعوا عليهم كل وارد من رزق ، حتى اتخذوا من ورق الشجر قوتاً لهم فما استسلموا ولا استكانوا — عرضوا عليه أن يملك عليهم على أن يترك دعوته ، فقال عليه السلام قولته المشهورة (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه) فلما أفرغت قريش كل ما فى جعبتها وتملكها اليأس من سرعة انتشار الدعوة المحمدية بيتت أمراً بليل ، (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، صدق الله العظيم) ، أمر الرسول

بالهجرة ، فهاجر بدين الله ، وحارب فى سبيل الله ، فكانت هجرته فتحاً ، وكانت غزواته نصرا ، أعز الله بها الدين ، وأدان بها الدنيا للمسلمين ، فلم يزدهيه الزهد عند الانتصار ، أو يدفعه الفوز إلى القسوة ، بل كان يقف عند الحد الذى تزول معه الفتنة ، ويقوم به أمر الدين ، ثم لا يلبث أن يعفو أو يصفح ، فنى غزوة بدر اختار الفداء دون القتل واستباحة الدماء .

وحينما فتح مكة كلها ، وانتصر على قريش برجلها ورجالها ، ومكنه الله من رقاب سادتها وعبيدها ، قال لهم فى تواضع النبوة ورفقها : (اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لا تثريب عليكم ، اليوم يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين) .

وكان يوم خيبر يتولى تقسيم الغنائم بنفسه ، فقال له رجل يارسول الله ، اعدل ، فقال له : « ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل ، خبت والله وخسرت إن لم أعدل) فقام عمر غاضباً يريد أن يضرب عنق الرجل ، فقال عليه السلام : (معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى) .

ويأتيه أعرابى آخر ، يسأله فيجذبه صلوات الله عليه من ردائه حتى يؤثر فى صفحة عنقه الطاهرة ، ويقول له فى جفاء البادية وغلظتها : (اعطنى ، فإنك لا تعطينى من مالك ولا من مال أبيك) ، فيعفو ويصفح ، ولا يمنع عنه الرفد بل يعطيه حتى تطيب نفسه ـ لا يغضب إلا لله ، ولا يحب إلا فى الله ، وحسبه شهادة الخالق الأعظم : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

صلوات الله وسلامه عليك يا أبا الزهراء ، فما نحن بسبيل تعداد مواقفك وصفاتك ، أو الإلمام بمآثرك وآلائك ، فسيرتك الطاهرة إعجاز من الإعجاز .

هى العبرة لمن يعتبر ، وهى الذكرى لمن يذكر ،
وهى القياس لمن يعدل ، وهى النصر لمن يبذل ،
وهى العدل لمن يوفى ، وهى الرشاد لمن يستقم ،
وهى الحقيقة لمن يستنير ، وهى الحق لمن يستمك ،

وهى الضياء لمن يستغيث ، وهى الصفاء لمن يتصوف ،
وهى السلام لمن يسلم ، وهى الجنة لمن يؤمن ،
صلوات الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله ، وسلام على صحبك وإخوانك من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا ، سلام عليك يوم ولدت ، وسلام عليك يوم بعثت ، وسلام عليك فى الرفيق الأعلا .

ونسألك اللهم أن تصلى على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات ، وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع السيئات ، وترفعنا بها عندك أعلا الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى الغايات ، فى الحياة وبعد الممات يا رب العالمين .

أمين الصيفى
ليسانسيه فى الآداب

حكى عن ذى النون المصرى أنه قال :

دخلت على مريض أعوده . فبينما كان يكلمنى أنَّ أنة . فقلت له : ليس بصادق فى حبه — من لم يصبر على ضربه . فقال المريض : بل ليس بصادق فى حبه من لم يتلذذ بضربه .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

ما أصابنى الله بمصيبة إلا رأيت أن الله تعالى أنعم على فيها ثلاث نعم :

الأولى : حيث لم تكن فى دينى

الثانية : حيث لم تكن أكبر منها

الثالثة : ما وعدنى الله من الثواب عليها .

آداب مس المصحف وحمله وكتابته

لفضيلة الشيخ على محمد الضباع شيخ عموم المقارىء المصرية

يحرم على المحدث ولو أصغر مس شيء من المصحف وحمله ، وكذا مس خريطة وصندوق فيهما مصحف بشرط أن يكونا معدين له ، وكذا مس علاقة لا ثقة به بشرط أن يكون عليها المصحف ، وكذا يحرم عليه مس ما كتب لدراسة ولو بغض آية كلوح وعلاقته ، ويجب منع المجنون والصبى الذى لا يميز من مسه مخافة انتهاك حرمته . وأما الصبى المميز فلا يمنع من مس مصحف ولوح لدراسة وتعلم ، ولا يكلف بالطهارة ، لذلك خوف المشقة أما لتعليم وغيره فلا يجوز له ذلك . لكن أفتى الإمام ابن حجر بأنه يسامح لمؤدب الأطفال الذى لا يستطيع أن يقيم على الطهارة فى مس الألواح لما فيه من المشقة ، لكنه يتيمم وهو أولى ، ويمنع الكافر بتاتاً من مس المصحف كله أو بعضه ، ولا يمنع من سماع القرآن ، ويجوز تعليمه إن رجى إسلامه .

أما ما كتب تميمة للتبرك فلا يحرم مسها ولا حملها ، لكن بشرط أن تجعل فى حرز يقيها من كل أذى ، ولا يجوز جعل صحيفة بالية منه وقاية لكتاب الله بل يجب محوها بماء طاهر ويصب فى بحر أو نهر جار ، ويحرم كتب القرآن وكذا أسماء الله تعالى بنجس أو على نجس ومسه به إذا كان غير معفو عنه ، ويكره كتبه على حائط ولو لمسجد وثياب وطعام ونحو ذلك ، ويجوز هدم الحائط ولبس الثياب وأكل الطعام ، ولا تضر ملاقاته ما فى المعدة بخلاف ابتلاع قرطاس فانه يحرم عليه ولا يجوز كتبه على الأرض ، ولا على بساط ونحوه مما يوطأ بالأقدام ، ولا يكره كتب شيء منه فى إناء ليسقى ماؤه للشفاء خلافا لما وقع للإمام ابن عبد السلام فى فتاويه من التحريم ، ويسن كتبه

وإيضاحه إكراما له، وكذا يستحب نقطه وشكله صيانة له من اللحن والتحريف، وينبغى أن يكتب على مقتضى الرسم العثمانى لا على مقتضى الخط المتداول على القياس ، ولا يجوز لأحد أن يطعن فى شىء من مرسوم الصحابة ، إذا الطعن فى الكتاب كالطعن فى التلاوة وتجب صيانة المصحف من كل أذى ، ويحرم سبه والاستخفاف به ، ويستحب تطييبه وتعظيمه وجعله على كرسى أو فى محل مرتفع فوق سائر الكتب تعظيما له ، وتقبيله قياساً على تقبيل الحجر الأسود . والقيام له إذا أقدم به ، وعده بعضهم بدعة لكونه لم يعهد فى الصدر الأول ويستحب تعاهده بالقراءة فيه يومياً ، ويحرم توسده ، ومد الرجلين إليه ، وإلقاؤه القاذورة والمسافر به إلى أرض العدو إذا خيف وقوعه فى أيديهم. ويحرم محوه بالريق : أى بالبصق عليه . فإن بصق على خرقة ومحاه بها لم يحرم ، ويصح بيعه وشراؤه على الصحيح وكرهه جماعة، ويحرم بيعه من الذمى مطلقاً .

مكارم الاخلاق

نقل الشيخ جمال الدين بن نباتة فى كتابه المسمى بسرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون . . عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس فى الخير ، عجباً لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه أهلا للخير ، ولا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً . وكان ينبغى له أن يسارع إلى مكارم الأخلاق ، فإنها تدل على سبل النجاح . فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين : أسمعته من النبي ﷺ ، قال نعم . لما أتى بسبايا طىء وقعت جارية بها جميلة لما رأيتها أعجبت بها ،فلما تكلمت نسيت جمالها بفصاحتها .

فقالت يا محمد : إن رأيت أن تخلى سبيلى ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومى وإن أبى كان يفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العارى ويفشى السلام ولا يرد طالب حاجة قط أنا بنت حاتم الطائى . فقال النبي ﷺ خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق .

مدحة لرسول الله ﷺ بمناسبة مولده المبارك

مدحي لخير المرسلين وفاء ولمهجتي هو بلسم وشفاء

مولده :

البشر أشرق في الوجود ضياؤه لما سمت بشهوده الغبراء
تسمو على أفق السماء بنوره ولشهبها تتطاول الحصباء
طاشت سهام المشركين ونكست أعلامهم لما استهل ضياء
عكفوا على الأوثان دهراً سجداً وقلوبهم طول الحياة هواء
أكل الضعيف قويهم وضعيفهم أودى فما هشت له النصراء

أثره :

هو واضع الأغلال عن أعناقهم فهم بآيات الهدى طلقاء
هو رحمة للعالمين ومنحة للكائنات وكوكب ضواء
بالمؤمنين هو الرءوف وإنه لهو الرحيم إذا قضى الرحماء
قد جاء بالقرآن نوراً ساطعا والليل أغدف كله ظلماء
يهدى إلى سبل السلام كتابه من منهليه ينهل السعداء
يحيي القلوب معينه ورحيقه لقلوب كل المتقين دواء
والناس موتى غير أتباع الهدى والتابعون له هم الأحياء
ولنا السعادة ما تمسكنا به وعلى الخلائق إننا شهداء
يدعو إلى دار السلام وإنما يهدى به الرحمن كيف يشاء
وبنى دعائم الاتحاد قوية حتى لترهب بطشنا الأعداء
وأقام بين المسلمين مودة ومن الهداية رحمة وإخاء

شريعته :

جعل الزكاة على الثراة فريضة فتراحم الفقراء والكبراء
وهي الفريضة ليس فيها منة أبدا وما لهم بها خيلاء

هى للغنى طهارة ونزاهة ... وعلى الفقير ترحم ونماء
وأقام من أهل البوادى دولة ... زلت لصولة بطشها العظماء
فعروش كسرى زلزلت لما بدا ... نور العدالة وانجلت ظلماء
وأقام ديناً قيما فعنت له ... تلك الوجوه وفتحت أرجاء
فتبوأ الإسلام أصدق مقعد ... بالمشرقين علا سماه رواء
عذراً رسول الله قولى عاجز ... لا تستطيع مديحك الشعراء
أثنى عليك الله فى قرآنه ... فديح كل المادحين هباء
قم يا رسول الله وانظر ما الذى ... يجرى وماذا تفعل السفهاء
زعموا التدين بدعة ممقوتة ... أما التمدن خلة علياء
جرفتهمو مدنية غربية ... وهى التوحش بدعة شنعاء
وفشا الزنا وفشا الربا فى أرضهم ... وتهتكت بين الرجال نساء
أسفرن يبغين السعادة بينهم ... فإذا السفور مذلة وشقاء
يحسبن أن سفورهن ميسر ... سبل الزواج وذاك منه براء
ما سد أبواب الرضى بوجوههم ... إلا السفور فهم به تعساء
ولرب عانسة تعسر حظها ... دهراً ولكن السفور الداء
صد الرجال عن النساء زهادة ... حالت مودتهم وزال صفاء
لو راضهم هدى الكتاب ونوره ... ولسنة الهادى جميعاً فاءوا
لبنوا على متن الذرى أوطانهم ... ولهم على متن السماء سماء
يا خير خلق الله أدرك أمة ... فيها الجهالة عزة شماء
العلم بالإسلام فيها ضائع ... يسمو الجهول وتزدرى العلماء
وتقطعت أوصالها وصفوفها ... حتى لقد طمعت بها الأعداء
وبك التوسل يا نبى فما لنا ... إلا جنابك موئل ورجاء
فاشفع لدى الرحمن يرحم ضعفنا ... حتى يزول عن العباد عناء

فهيم سالم المليجى

من صفات الرسول عليه السلام

قال الله تعالى : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ».

(قرآن كريم)

دلائل تكريم الله تعالى نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام وبراهين تعظيمه وتشريفه على غيره كثيرة ظاهرة ظهور النهار لا تنكره الأبصار ولا يمارى فيها منصف .

لقد قرن اسمه باسمه فى الشهادتين وفى الأذان وإقامة الصلاة والتشهد فى موضعين كلما جلست تقرأ التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله وطلب الصلاة والسلام عليه والرحمة والبركة ، وطلب الصلاة والمباركة على آله بالعطف عليه وهو تشريف ليس وراءه تشريف من الصلاة ، وعد هذا كله من أركان الفريضة وآدابها حتى قال الشافعي رحمه الله تعالى :

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر إنكم من لم يصلى عليكم لا صلاة له

ولقد أخذ الله الميثاق على النبيين أن يؤمنوا به وينصروه إذا جاءهم وهو تعالى يعلم أنه مبعوث فى غير أزمانهم ليدل على محله وقربه من ربه وأخذ منهم الإقرار والعهد على ذلك وأشهدهم على أنفسهم وضم شهادته إليهم وهو أمر لم يجتمع كله ولا بعضه لنبي قبله عليهم الصلاة والسلام . قال تعالى : (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن

به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم أصرى ، قالوا أأقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) ولقد رفعه الله درجات فأدناه وقربه منه حتى كلمه وفضله بشرف رؤية الله عز وجل وهو تكريم سأله موسى لنفسه فلم يتهيأ له ، ولقد رباه على الخلق العظيم والأدب الجليل والصفح الجميل وصبر أولى العزم من الرسل وجمع له من الفضائل وحده ما تفرق فيهم وتناثر فى أفرادهم ليكون أكمل وأعلى وأجل وأسمى ، وصدق الله العظيم « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » أى تخلق بأخلاقهم الكريمة كلها واجعلهم قدوة لك فيما انفرد به كل واحد منهم ليجتمع لك ما تميزوا به وطبعوا عليه ، ولذلك بعثه الله رحمة للعالمين وأرسله كافة للناس بشيراً ونذيراً وجبله على الرحمة والرفق حتى مع عدوه حيث تحمد الرحمة والرفق وحبب إليه العفو والإعراض عن الجاهلين وأحسن سيدى عبد الرحيم البرعى كل الإحسان فى قصيدة له فى ديوانه نذكر منها قوله :

فإن ذكروا نجىّ الطور فاذكر ... نجى العرش مفتخراً التغنى
وإن قارنت لفظة لن ترانى ... بما كذب الفؤاد فهمت معنى
فموسى خر مغشياً عليه ... وأحمد لم يكن ليغيب ذهناً
وأهلك قومه من قبل نوح ... بدعوة لا تزر أحداً فأفنى
وأحمد قال يا رب اهدى قومى ... فهم لا يعلمون كما علمنا

وصدق الشيخ فى تصويره وأجاد فإنه عليه الصلاة والسلام ظهر بالقدوة الكاملة كشأنه فى كل أمر وكذلك صوره الله تعالى وطبعه على أشرف الصفات وأجمل الأخلاق وأكملها فعلا وأدباً ، ولذلك عفا عن قومه الذين بالغوا فى فى إيذائه وعدوانه ودعا لهم بالهداية وأضافهم إلى نفسه فجعلهم قومه رحمة بهم واسترحاما من الله عز وجل واعتذر عنهم بعدم العلم وذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام : اللهم اهدى قومى فإنهم لا يعلمون ، ودخل مكة بأصحابه رضى الله عنهم ظافراً منتصرا وقد قهر عدوه وأمكنه الله تعالى من رقابهم فلم يشف له غيظا ولم

يسفك الدماء زهوى ولم يكن جباراً فى الأرض ، ولكن كان رحمة للعالمين ، وكنى ، ولقد قال لهم حين ذاك : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم .

وهذا دليل على أنهم ما عرفوا عنه إلا ذلك الخلق الحسن . فقال : أقول لكم ما قال أخى يوسف لاتثريث عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء ، ثم كان من ما قال فى هذه المناسبة من دخل المسجد الحرام فهو آمن ، ومن دخل بيته فهو آمن ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، وكذلك يجب أن تكون الحركات الإصلاحية التى تهدف إلى الخير وتمكين العدل والمساواة والمبادىء الصالحة فى البلاد لا بد لتلك من تصحيح النية وقصد الخير لذاته ومحاولة الوصول إليه من أيسر طريق وأسهلها بدون ثمن متى أمكن ذلك ، ولا بد من التواضع وإنكار الذات ونسيان الماضى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ، ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ونحن الآن فى عهد جديد وحركة إصلاحية مباركة يجب أن نسير فيها وفى غيرها بسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ونأخذ بمبادئه وتعاليمه فى جميع شئوننا شبراً بشبر وذراعا بذراع ، والذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون واتبعوه لعلكم تهتدون .

فلا فلاح ولا هداية إلا فى اتباعه ، ولا ضلال ولا خسران إلا فى مخالفته والإعراض عنه ، فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون .

اللهم صلنا ولا تقطعنا ،وقربنا ولا تبعدنا ،واجعلنا هداة مهتدين ، واجمع الأمة على الهدى إنك على كل شىء قدير .

المصاحف العثمانية

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح القاضى

عددها ، حالتها ، كيف أرسلت إلى الأمصار
موقف المسلمين إزاءها

عدد المصاحف :

اختلف العلماء فى عدد المصاحف التى أرسلها عثمان رضى الله عنه إلى الآفاق على أقوال كثيرة ، وأصحها فى ذلك وأولاها بالقبول أنها ستة ، البصرى ، الكوفى ، الشامى ، المكى ، المدنى العام لأهل المدينة ، المدنى الخاص ، وهو الذى حبسه عثمان لنفسه وهو الذى يسمى بالمصحف الامام ، ولعل إطلاق هذا الاسم عليه نظراً لأنه الذى نسخ أولا ومنه نسخت المصاحف الأخرى ، ولا مانع من إطلاق هذا الاسم على كل مصحف منها لاقتداء أهل الأمصار بها .

حالة المصاحف :

عرفت مما سبق ما اشتملت عليه المصاحف العثمانية من المزايا والخصائص ، ونريد فى هذا البحث أن نقفك على هذه الحقيقة . هل كانت هذه المصاحف مشتملة على الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن الكريم ، أم كتبت على حرف واحد من هذه الأحرف .

ذهب فريق من العلماء إلى أن المصاحف العثمانية ليس فيها إلا حرف واحد من الأحرف السبعة وهو حرف قريش ، محتجين على ذلك بأن باقى الأحرف إنما أنزلت فى ابتداء الأمر فى صدر الاسلام للتيسير على الأمة ، ورفع الحرج والمشقة عنها ، ولما رأى عثمان أن القراءة بالأحرف السبعة أصبحت مثار شقاق وفرقة بين المسلمين ، وأنها

إنما أنزلت ابتداء للتيسير والتسهيل لأن إلزام جميع القبائل العربية بالتزام لغة واحدة لم تتعودها ألسنتهم يوقعهم فى الحرج والمشقة ، وأن الحاجة إلى هذه اللغات والأحرف قد انتهت اقتصر فى كتابة المصاحف من هذه الأحرف واللغات على واحدة هى لغة قريش وأمر كتاب المصاحف بأن يقتصروا فى كتابتهم عليها محتجا على ذلك بأن القرآن قد نزل بها ولذلك قال لهؤلاء الكتاب : إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم .

وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف إلى أن المصاحف مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة ومتضمنة لما ثبت من القراءات المتواترة فى العرضة الأخيرة لأنها كانت كما علمت كانت خالية من النقط والشكل فكانت محتملة للاحرف السبعة بل على معنى أن كل مصحف منها مشتمل على ما يحتمله رسمه من هذه الأحرف ، وأن مجموعها لايخلو عن الأحرف السبعة .

فالأحرف السبعة منتشرة فى المصاحف الستة ، ومتفرقة فيها ، فقراءة « ووصى » مثلا وإن لم توجد فى المصحف المدنى والشامى فقد وجدت فى غيرهما ، وقراءة « تجرى من تحتها الأنهار » بالتوبة فى الموضع الأخير منها موجودة فى المصحف المكى وهكذا .وأما القراءات الثابتة فى مثل « فتبينوا » و «هيت لك » و « أف » فكل مصحف يحتملها ضرورة خلوه من النقط والشكل والخلاصة أنك لو نظرت إلى المصاحف مجتمعة لوجدتها مشتملة على الأحرف السبعة ، ولوجدت هذه الأحرف مبثوثة فيها ، وهذا المذهب هو الذى يطمئن إليه القلب ويهدى إليه النظر ، وتدل عليه البراهين وإليك بيانها :

أولا — إن هذه المصاحف العثمانية قد نسخت من الصحف التى

أمر الصديق بجمعها ، وقد أجمع العلماء على أن هذه الصحف سجل فيها ماتواتر ثبوته عن النبي ﷺ من الأحرف السبعة ، واستقر فى العرضة الأخيرة ولم تنسخ تلاوته فصحف أبي بكر تعتبر أصلا ومصدر المصاحف عثمان رضى الله عنهما .

ثانياً - لم يرو فى خبر صحيح ولا ضعيف أن عثمان أمر الكتاب أن يقتصروا على حرف واحد ويلغوا الستة الباقية .

ثالثاً — لا يصدق مؤمن يعرف للصحابة قدرهم فى قوة دينهم وتقديسهم كتاب ربهم، واعتقادهم أن فيه سعادتهم الدنيوية والأخروية . أقول لايدور بخلد مؤمن أن هؤلاء الصحابة - وهم كثرة كاثرة — وكانوا وقتئذ اثنى عشر ألفاً أو يزيدون — يقرون عثمان على إلغاء ما تواترت قرآنيته عن رسول الله ﷺ مهما كانت البواعث على ذلك ، على أن جمع كلمة المسلمين ولم شعثهم ، واستئصال بذور الشقاق من قلوبهم لا يحمل عثمان رضى الله عنه على إبطال شيء من القرآن الكريم بل عليه — والحالة هذه — أن يأمر بكتابة ما ثبتت قرآنيته بالتواتر من الأحرف السبعة ، واستقر فى العرضة الأخيرة ، وأن يلزم الأمة بالوقوف عند هذا المتواتر ويعلمهم بأن ماعداه من الوجوه التى نزلت فى ابتداء الأمر للتيسير قد نسخت بالعرضة الأخيرة فلا تجوز القراءة بها ، ولا اعتقاد قرآنيتها، وبذلك تقمع الفتنة. وتجمع الكلمة ، وتوحد الصفوف ، ويقضى على النزاع ، وهذا هو ما قام به عثمان رضى الله عنه ، ووافقه عليه صحابة رسول الله ﷺ

رابعاً — لو كان صحيحاما يدعيه أصحاب الرأى الأول من أن عثمان أمر الكتاب أن يقتصروا على لغة قريش ويتركوا ماسواها لكان القرآن خاليا من جميع اللغات إلا من لغة قريش ، وهذا باطل فى الواقع لأن القرآن فيه من الكلمات من اللغات الأخرى غير لغة قريش ما يفوق الحصر ، فوجود هذه الكلمات فى

القرآن من أوضح البراهين على أن المصاحف لم يقتصر فيها على لغة قريش بل كتب فيها من الأحرف السبعة ما تواتر وثبت فى العرضة الأخيرة .

وهناك بعض الأمثلة لهذه الكلمات :

روى أبو عبيد عن الحسن قال : كنا لا ندرى ما الأرائك حتى لقينا رجل من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير ، وعن الضحاك فى قوله تعالى «كلا لا وزر» قال لا حيل وهى بلغة أهل اليمن أيضاً ، وأخرج أبو بكر الأنبارى عن ابن عباس فى قوله تعالى (أفلم ييأس الذين آمنوا) قال ابن عباس أفلم يعلموا وهى لغة هوازن ، وورد أن قوله تعالى (لا يلتكم من أعمالكم شيئاً) لا ينقصكم وهى بلغة عبس ، وهكذا .

خامساً — تناصرت الأدلة ، وتظاهرت البراهين على أن بين المصاحب العثمانية اختلافا فى مواضع كثيرة فقوله تعالى (ووصى بها إبراهيم) فى سورة البقرة كتبت فى بعض المصاحف بواوين من غير ألف بينهما وفى بعض المصاحف بألف بين الواوين وقوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) فى سورة آل عمران كتب فى بعضها بواو قبل السنين وفى بعضها بحذف الواو ، وقوله تعالى (وتوكل على العزيز الرحيم) فى الشعراء كتب بالواو فى البعض وبالفاء بدلها فى البعض الآخر وقوله تعالى (وفيها ما تشتهيه الأنفس) فى الزخرف كتب فى بعضها بالهاء وفى بعضها بغير هاء هكذا (تشتهى) وقوله تعالى (ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) فى الحديد كتب فى بعضها بإثبات لفظ هو ، وفى بعضها بحذفه إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة ،

فلو كانت المصاحف مكتوبة بلغة واحدة وهى لغة قريش لم يكن هناك داع لهذا الاختلاف . وقد يقال إن قول عثمان للرهط الثلاثة القرشيين

(إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا) يدل لأصحاب الرأى الأول ، والجواب عن ذلك أن عثمان لا يريد من وراء هذه المقالة إلا الاختـــلاف من حيث الرسم (المعنى إذا اختلفتم فى رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذى يوافق لغة قريش ولهجتها فإنه نزل بها) والكتابة لا من حيث جواهر الألفاظ والكلمات جمعا بين الأدلة ، وتوفيقاً بين البراهين ، على أنه لم يصل إلينا أنهم اختلفوا إلا فى لفظ واحد فقط وهو (التابوت) فى قوله تعالى (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) هل يكتب بالتاء أم بالهاء؟ فرجعوا إلى عثمان فأمرهم أن يكتبوه بالتاء لأنه يكتب بها فى لغة قريش وقد يتمسك أصحـــاب الرأى الأول أيضا بقول عثمان (فإنما نزل بلسانهم) والحق أن لا متمسك لهم بهذا لأن القرآن أنزل أولا بلسان قريش لأنهم هم المقصودون أولا ، ثم وسع الله على الأمة بإنزاله باللغات الأخرى ليسهل عليهم ترتيله بغير تكلف يشغل عن تدبره .

كيف أرسلت هذه المصاحف إلى الأمصار .

إن نقل القرآن الكريم إنما يعتمد على التلقى من أفواه الشيوخ خلفا عن سلف ، وثقة عن ثقة ، وإماماً عن إمام ، حتى يصلوا إلى الحضرة النبوية ولذلك لما أراد عثمان إذاعة المصاحف وإرسالها إلى الأمصار لم يرسلها وحدها لتكون المرجع الوحيد بل أرسل مع كل مصحف إماماً عدلا ضابطا تكون قراءته موافقة لمـــا فى هذا المصحف غالباً ، فأمر زيد بن ثابت أن يقرىء بالمدنى . وبعث عبد الله ابن السائب مع المصحف المكى ، والمغيرة بن شهاب مع الشامى ، وأبا عبد الرحمن السلمى مع الكوفى ، وعامر ابن عبد القيس مع البصرى ، ثم نقل التابعون عن الصحابة فقرأ أهل كل مصر بما يوافق مصحفهم تلقياً عن

الصحابة الذين تلقوه من فيه ﷺ فقام التابعون فى ذلك مقام الصحابة ثم تفرغ جماعة للقراءة والأقراء، والتعليم والتلقين، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم، ويؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقى قراءتهم، واعتماد روايتهم . ومن هنا نسبت القراءة إليهم وأجمعت الأمة وهى معصومة من الخطأ فى إجماعها على ما فى هذه المصاحف، وعلى ترك ما سواها من زيادة ونقص وتقديم وتأخير وغير ذلك لأنه لم يثبت عندهم ثبوتاً متواتراً أنه من القرآن .

موقف المسلمين إزاء تلك المصاحف

لما أمر عثمان رضى الله عنه بنسخ المصاحف، وكتابتها على ما ثبت فى العرضة الأخيرة وترك ما سوى ذلك وقف منه الصحابة جميعاً موقف التأييد والتعضيد، واستجابوا لندائه فحرقوا مصاحفهم العثمانية حتى ورد أن عبدالله ابن مسعود أنكر بادىء ذى بدء على عثمان لأنه آثر زيد بن ثابت فى كتابة المصاحف على عبدالله . لما سبق من الأوصاف الموجبة لذلك . ولكنه لم يلبث أن رجع ؛ وأقر ما عمله عثمان ؛ واتفقت عليه كلمة الصحابة .

أخرج ابن أبى داود بسند صحيح عن على رضى الله عنه أنه قال : لاتقولوا فى عثمان إلا خيراً فوالله مافعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملأ منا . قال ماتقولون فى هذه القراءة فقد بلغنى أن بعضهم يقول إن قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفراً قلنا فما ترى ؟ قال أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا فنعم ما رأيت اه .

وورد عن على أيضا أنه قال (لو كنت الوالى وقت عثمان لفعلت فى المصاحف مثل الذى فعل عثمان اه أما أهل الأقاليم الذين أرسلت إليهم المصاحف فقد وقفوا منها موقف التقديس والإكبار لأنهم علموا أن

كتابة هذه المصاحف لم يكن عملا فردياً استقل به شخص ما . وإنما هو إجماع من أصحاب رسول الله ﷺ الذين مدحهم الرسول ﷺ وأثنى عليهم بما هم جديرون به فقال (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وقال (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) وقال (اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر ، فلذلك وقفوا منها هذا الموقف المحمود وتلقوها بالرضا والقبول ، وجعلوها المصدر الوحيد يقتدون بها ، ويحتكمون إليها .

ما اشتهر من المصاحف

فى عهد الصحابة

اشتهر فى عهد الصحابة مصاحف أخرى غير المصاحف العثمانية التى سبق الكلام عليها . بيد أن هذه المصاحف لم تظفر بما ظفرت به المصاحف العثمانية من إجماع الصحابة عليها ، ورضاهم بها ، ووقوفهم عند ما تضمنته من الأوجه والقراءات ، ولم تحرز عند أهل الأقاليم والأمصار ما أحرزته المصاحف العثمانية من الثقة والقبول .

ذلك أن هذه المصاحف كانت مصاحف فردية خاصة كتبها بعض الصحابة لنفسه . ولم يقتصر فى كتابتها على ما استقر فى العرضة الأخيرة ، بل كتب فيها ما كانت روايته آحاداً وما نسخت تلاوته . وما لم يكن فى العرضة الأخيرة . وخلط فيها بين ألفاظ القرآن وما كان شرحا لها وبياناً لتأويلها . وهذه المصاحف تختلف عن مصاحف عثمان تارة بالزيادة وأخرى بالنقص . ومرة بالتقديم ، وأخرى بالتأخير وهكذا . وإليك أنموذجا من هذه المصاحف .

مصحف عمر بن الخطاب .

كتب فيه فى سورة الفاتحة (صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين)

وفيه أيضاً أول سورة آل عمران

(الم الله لا إله إلا هو الحى القيام) وفيه فى سورة المدثر (فى جنـات يتساءلون يا فلان ما سلكك فى سقر)

مصحف على بن أبى طالب

كتب فيه فى سورة البقرة (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه وآمن المؤمنون)

مصحف عائشة أم المؤمنين

كتب فيه فى سورة البقرة (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وصلاة العصر) وفى رواية بحـذف واو وصلاة العصر . وفيه أيضا فى سورة الأحزاب (إن الله وملائكته يصلون على النبي والذين يصلون فى الصفوف الأول)

مصحف حفصة أم المؤمنين

كتب فيه (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر »

مصحف أم سلمة أم المؤمنين وفيه ما فى مصحف حفصه

مصحف عبد الله بن الزبير

كتب فيه فى سورة البقرة (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فى مواسم الحج) وفيه أيضا فى سورة المائدة (فيصبح الفساق على ما أسروا فى أنفسهم نادمين) وفيه فى سورة آل عمران (ولتكن منكم أمـة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم)

مصحف أبى بن كعب

كتب فيه فى سورة البقرة (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما) وفيها أيضا (للذين يقسمون من نسائهم) وفى سورة النساء (فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) وفى سورة المائده (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)

مصحف عبد الله بن عباس

كتب فيه فى سورة البقرة (فلا جناح عليه ألا يطوف بهما) وفيه (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا

من ربكم فى مواسم الحـــج) وفى آل عمران (إنمـــا ذلكم الشيطان يخوفكم أولياءه) وفيه فى البقرة (وأقيموا الحج والعمرة للبيت) وفى آل عمران (وشاورهم فى بعض الأمر وفى البقره (وإن عزموا السراح) وفى الحج (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث) وفى الأعراف (كأنك حفى بها) وفى آل عمران (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون فى العلم آمنا به) وفى البقره (فإن آمنوا بما آمنتم به فقد اهتدوا) وفيها (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلواة العصر) وفى النساء فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى) وفيها (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات كانت لهم) وفى سورة النصر (إذا جاء فتح الله والنصر)

مصحف عبد الله بن مسعود

كتب فى سورة البقرة (اهبطوا مصر) بدون ألف و (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان ربنا) و (فلارفوث ولافسوق ولا جدال فى الحج) و (وتزودوا وخير الزاد التقوى) و (وأقيموا الحج والعمرة للبيت) وفى آل عمران (الحى القيام) و (وإن حقيقة تأويله إلا عند الله) و (وناداه الملائكة يا زكريا إن الله) و (يا مريم اقنتى لربك واركعى واسجدى فى الساجدين و (إذ قالت الملائكة إن الله ليبشرك وفى سورة النساء (إن الله لا يظلم مثقال نملة) وفى المائدة (إن تعذبهم فعبادك) وفى الأنعام (كالذى استهواه الشيطان و (لقد تقطع ما بينكم) وفى الأعراف (قالوا ربنا إلا تغفر لنا وترحمنا) وفى الأنفال (ولا يحسب الذين كفروا سبقوا) وفى التوبة (قل أذن خير ورحمة لكم) وفى يونس(حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بكم) وفى هود (وآتانى رحمة من عنده وعميت عليكم) (فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك) وفى الرعد (وسيعلم الكافرون لمن عقبى الدار) وفى النحل (الذين توفاهم

وفى الأسراء « سبحت له الأرض وسبحت له السموات) وفى الكهف (لكن هو الله ربى) وفى مريم (ذلك عيسى بن مريم قال الحق الذى فيه يمترون) و (تكاد السموات لتتصدع منه) وفى طه (قد نجيتكم) وفى الحج (أذن للذين قاتلوا بأنهم ظلموا) وفى النور (أنزلناها وفرضناها لكم) وفى الفرقان (وهو الذى أرسل الرياح مبشرات) وفى الشعراء (واتبعوهم مشرقين) وفى النمل (فيمكث غير بعيد) وفى القصص (وعميت عليهم الأنباء) وفى السجدة (فلا تعلم نفس ما يخفى لهم) وفى سبأ (يقذف بالحق وهو علام الغيوب) وفى يس (فى شغل فاكهين) و (على الأرائك متكئين) و (سلاماً قولا من رب رحيم) وفى الزخرف (ماشهد خلقهم) و (وإنه عليم للساعة) وفى الشريعة (وإذا قيل إن وعد الله حق وإن الساعة لا ريب فيها) وفى الحجرات (لتعارفوا وخياركم عند الله أتقاكم) وفى القمر (خاشعة أبصارهم) وفى نوح « ولا يغوثاً ويعوقا » بالتوين فيهما والله أعلم .

◎ ورد أن مالك بن دينار كان له جار يهودى لحول مستحمه إلى الجدار الذى بينهما . فكانت الروائح الكريهة تظهر عنده وهو صابر لا يظهر مللا ولا ضجراً حتى ضاق صدر اليهودى وقال له : يا مالك : آذيتك كثيراً وأنت صابر فما هذا : فقال له : كيف لا أصبر على جوارك وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه .

فما إن سمع اليهودى هذا القول الحكيم حتى رق قلبه وانطلق لسانه يقول إن ديناً هذا شأنه ، وتلك مبادئه وتعاليمه لهو الدين السماوى الحق الذى يجب اتباعه واعتناقه دون سواه . وأردف ذلك ناطقاً بكلمة الشهادتين معلنا دخوله فى زمرة المؤمنين . نابذاً خلف ظهره ضلالات الكافرين .

ترجمة البدر السادس

حمزة بن حبيب الزيات الكوفي

هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التيمي مولاهم وقيل من صميمهم الزيات أحد القراء السبعة ، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن ويحتمل أن يكون رأى بعضهم ـ أخذ القراءة عرضاً عن سليمان الأعمش وحمران بن أعين أبي إسحاق السبيعي ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وطلحة بن مصرف ومغيرة بن مقسم ومنصور وليث بن أبي سليم وجعفر بن محمد الصادق وقيل بل قرأ الحروف على الأعمش ولم يقرأ عليه جميع القرآن قالوا استفتح حمزة القرآن من حمران وعرض على الأعمش وأبي إسحاق وابن أبي ليلى وكان الأعمش يجود حرف ابن مسعود وكان ابن أبي ليلى يجود حرف علي وكان أبو إسحاق يقرأ فى هذا الحرف ومشى على هذا الحرف وكان حمران يقرأ قراءة ابن مسعود ولا يخالف مصحف عثمان يعتبر حروف معانى عبد الله ولا يخرج من موافقة مصحف عثمان هذا لأن اختيار حمزة ـ قرأ عليه وروى القراءة عنه إبراهيم بن أدهم وإبراهيم بن إسحاق بن راشد وإبراهيم بن طعمة وإبراهيم على الأزرق وإسحاق بن يوسف الأزرق وإسرائيل بن يونس السبيعي وأشعث بن عطاف وبكر بن عبد الرحمن وجعفر ابن محمد الخشكني وحجاج بن محمد والحسن بن بنت الثمانى والحسن بن عطية والحسين بن على الجعفي والحسين بن عيسى وحمزة بن القاسم الأحول وخالد بن يزيد الطبيب وخلاد بن خالد الأحول وربيع بن زياد وسعيد بن أبي الجهم وسلم الأبرش المجدر وأبو الأحوص سلام بن سليم وسليمان بن أيوب وسليمان

ابن الضبي وسليم بن عيسى وهو أضبط أصحابه وسليم بن منصور وسفيان الثوري وشريك بن عبد الله وشعيب بن حرب وزكريا بن يحي بن اليمان وصباح بن دينار وعائذ بن أبي عائذ أبو بشر الكوفي وعبد الرحمن بن أبي حماد وعبد الرحمن بن قلوقا وعبد الله بن صالح بن مسلم العدل عبيد الله بن موسى وعلي بن حمزة الكسائي أجل أصحابه وعلي بن صالح بن حي وأبو عثمان وابن ميمون القناد وغالب بن فائد ومحمد بن حفص الحنفي ومحمد بن زكريا ومحمد بن عبد الرحمن النحوي ومحمد بن أبي عبيده الهذلي ومحمد بن عيسى الريشي ومحمد بن فضيل ومحمد بن الهيثم النخعي ومحمد بن واصل المؤدب ومندل بن علي ومنذر بن الصباح ونعيم بن يحي السعيدي ويحي بن الزيات الفراء ويحي بن علي الخزاز ويحي بن المبارك اليزيدي ويوسف بن أسباط ومحمد بن مسلم العجلي كما ذكر أبو الحسن الخياط - وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش .

وكان إماماً حجة ثقة ثبتاً رضى قيما بكتاب الله بصيراً بالفرائض عارفا بالعربية حافظاً للحديث عابداً خاشعاً زاهداً ورعا قانتاً لله عديم النظير وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان ويجلب الجوز والجبن إلى الكوفة .

قال عبد الله العجيلي قال أبو حنيفة لحمزة شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما القرآن والفرائض وقال سفيان الثوري غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض وقال أيضاً عنه ما قرأ حمزة حرفا من كتاب الله إلا بأثر .

وقال عبيد الله بن موسى كان حمزة يقرأ القرآن حتى يتفرق الناس ثم ينهض يصلي فيصلي أربع ركعات ثم يصلي ما بين الظهر إلى العصر وما بين المغرب والعشاء وكان شيخه الأعمش إذا رآه قد أقبل يقول هذا حبر القرآن وأما ما ذكر عن عبد الله بن إدريس وأحمد بن حنبل من كراهة قراءة حمزة فإن ذلك محمول على قراءة من سمعا منه ناقلا عن حمزة وما آفة الأخبار

إلا رواتها . قال ابن مجاهد قال محمد بن الهيثم والسبب فى ذلك أن رجلا ممن قرأ على سليم حضر مجلس ابن إدريس وقرأ فسمع ابن إدريس ألفاظاً فيها إفراط فيه المد والهمزة وغير ذلك من التكلف فكره ذلك ابن إدريس وطعن فيه قال محمد بن الهيثم وقد كان حمزة يكره هذا وينهى عنه ، قلت أما كراهته الإفراط من ذلك فقد روينا عنه من طرف أنه كان يقول لمن يفرط عليه فى المد والهمز لا تفعل أما علمت أن ما كان فوق البياض فهو برص وما كان فوق الجعودة فهو قطط وما كان فوق القراءة فليس بقراءة .

قال يحيى بن معين سمعت محمد بن فضيل يقول : ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة .

توفى سنة ست وخمسين ومائة وقيل سنة أربع وقيل سنة ثمان وخمسين وهو وهم . قال الذهبي وقبره بحلوان مشهور . قال عبد الرحمن بن أبى حماد زرته مرتين والله أعلم .

راوى حمزة الأول (خلف)

هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هشيم بن ثعلب بن داوود بن مقسم بن غالب أبو محمد الأسدى ويقال خلف بن هشام بن طالب ابن غراب الإمام العلم أبو محمد البزار بالراء البغدادى - أصله من فم الصلح بكسر الصاد وأحد القراء العشرة وأحد الرواة عن سليم عن حمزة ، ولد سنة خمسين ومائة وحفظ القرآن وهو فى عشر سنين وابتدأ فى الطلب وهو ابن ثلاث عشرة وكان ثقة كبيراً زاهداً عابداً عالما - روينا عنه أنه قال أشكل علىّ باب من النحو فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حفظته أو قال عرفته ، وروينا عنه أيضاً أنه كان يكره أن يقال له البزار ويقول ادعونى المقرىء .

قال أحمد بن إبراهيم وراقة سمعته يقول : قدمت الكوفة فصرت إلى سليم

فقال ما أقدمك قلت اقرأ على أبي بكر بن عياش فدعا ابنه وكتب معه ورقة إلى أبي بكر لم أدر ماكتب فيها فأتيناه فقرأ الورقة وصعد فى النظر ثم قال أنت خلف قلت نعم قال أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك فسكت فقال لى اقعد هات اقرأ قلت عليك قال نعم قلت لا والله لاأقرأ على من يستصغر رجلا من حملة القرآن ثم خرجت فوجه إلى سليم فسأله أن يردنى فأبيت ثم ندمت وجنحت وكتبت قراءة عاصم عن يحي بن آدم .

أخذ القرآن عرضا عن سليم بن عيسى وعبد الرحمن بن أبى حماد عن حمزه ويعقوب بن خليفة الأعشى وأبى زيد سعيد بن أوس عن المفضل الضبي وروى الحروف عن إسحاق المسيبي وإسماعيل بن جعفر وعبد الوهاب بن عطاء ويحي ابن آدم وعبيد بن عقيل

روى رواية قتيبة عنه فيما ثبت عنه عندنا من طريق بن شنبوذ والمطوعى أداءاً وسماعا وسمع من الكسائى الحروف ولم يقرأ عليه القرآن قال أبو على الاهوازى فى مفردة الكسائى قال الفضل بن شاذان عن خلف أنه قرأ على الكسائى والمشهور عند أهل النقل لهذا الشأن أنه لم يقرأ عليه وإنما سأله عنه وسمعه يقرأ القرآن إلى خاتمته وضبط ذلك عنه بقراءته عليهم وكذا قال الحافظ أبو العلاء وهو الصحيح والله أعلم وروى عنه قراءة الأعمش عن زائدة بن قدامة وروى القراءة عنه عرضاً وسماعا أحمد بن إبراهيم وراقة وأخوه إسحاق بن إبراهيم وإبراهيم بن على القصـــار وأحمد بن يزيد الحلوانى وإدريس ابن عبد الكريم الحداد وأحمد بن زهير وأحمد بن محمد البراصى وسلمة بن عاصم شيخ الفقايرى وعلى بن الحسين بن سلم ومحمد بن اسحاق سبخ بن شنبوذ ومحمد بن الجهم ومحمد بن مخلد الأنصارى ومحمد بن عيسى والمفضل بن أحمد الزبيدى وعلى بن محمد بن نازك وابراهيم بن إسحاق ومحمد بن إبراهيم ومحمد بن سعيد الضريرى وأبو بكر بن أسد المؤدب وعبيد بن عقيل وعبد الوهاب بن عطاء

وموسى بن عيسى وأبو الوليد عبد الملك بن القاسم وعمر بن فايد فيما ذكره الهندلى — قال بن أسته كان خلف يأخذ بمذهب حمزة إلا أنه خالفه فى مائة وعشرين حرفا قلت يعنى فى اختياره

مات فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد وهو مختف من الجهمية والله أعلم!

الراوى الثانى عن حمزه الكوفى (خلاد)

هو خلاد بن خالد أبو عيسى وقيل أبو عبد الله الشيبانى مولاهم الصيرفى الكوفى امام فى القراءة ثقة عارف محقق استاذ

أخذ القراءة عرضاً عن سليم وهو من أضبط أصحابه وأجلهم وروى القراءة عن حسين بن على الجعفى عن أبى بكر وعن أبى بكر نفسه عن عاصم وعن أبى جعفر محمد بن الحسن الرواسى

روى القراءة عنه عرضا أحمد بريد الحلوانى وابراهيم بن على القصار وابراهيم بن نصر الرازى وحمدون بن منصور وسليمان بن عبد الرحمن الطرشى وعلى بن حسين الطبرى وعلى بن محمد بن الفضل وعنبسه بن النضر الأحمرى والقاسم ابن يزيد الوزان وهو أنبل أصحابه ومحمد بن الفضل ومحمد بن سعيد البزاز ومحمد بن موسى بن أمية ومحمد بن شاذان الجوهرى وهو من أضبطهم ومحمد ابن عيسى الأصبهانى ومحمد بن يحيى الخنيسى ومحمد بن الهتيم قاضى عكبرا وهو أجل أصحابه .

توفى سنة عشرين ومائتين والله أعلم .

وهذا هو البدر السابع من البدور السبعة (على الكسائى)

على بن حمزه بن عبد الله بن بهمن بن فيروز الأسدى مولاهم وهو من أولاد الفرس من سواد العراق كذا قال أبو بكر بن داوود السجستانى أبو الحسن الكسائى الامام الذى انتهت إليه رياسة الأقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات أخذ القراءة عرضاً عن حمزة أربع مرات وعليه اعتماده وعن محمد بن أبى ليلى وعيسى ابن عمر المهدانى وروى الحروف عن أبى بكر بن عباس وإسماعيل ويعقوب ابنى جعفر عن نافع ولا يصح قراءته على نافع كما ذكره الهزلى بل ولا رآه وعن عبد الرحمن بن أبى حماد وعن أبى حيوه شريح بن يزيد فى قول — وقيل بل شريح أخذ عنه وعن المفضل بن محمد الضبعى وعن زائدة بن قدامة عن الأعمش ومحمد بن الحسن عن أبى سارة وقتيبة بن مهران، ورحل إلى البصرة فأخذ اللغة عن الخليل — أخذ عنه القراءة عرضا وسماعا إبراهيم بن زاذان وإبراهيم بن الحريس وأحمد بن جبير وأحمد بن أبى سريج وأحمد بن أبى ذهل وأحمد بن منصور البغدادى ، وأحمد بن واصل وإسماعيل بن مدان وحفص بن عمر الدورى وحمدويه بن ميمون وحميد بن ربيع الخزاز وزكريا بن وردان وسريج بن يونس وسورة بن المبارك وأبو حمدون الطيب بن إسماعيل وعبد الرحمن بن واقد وعبد الرحيم بن حبيب وعبد القدوس بن عبد المجيد وعبد الله بن أحمد بن ذكران وعبيد الله بن موسى وعدى بن زياد وعلى بن عاصم وعمر بن حفص المسجدى وعيسى بن سليمان والفضل بن ابراهيم وفودة بن شبوية وأبو عبيد القاسم بن سلام وقتيبة بن مهران الليثى بن خالد ومحمد بن نفيان ومحمد بن سلمان ومحمد بن واصل والمطلب بن عبد الرحمن والمغيرة بن شعيب وأبو توبة ميمون بن حفص ونصر ابن يوسف وأبو إناس هارون بن سوره بن المبارك وهارون بن عيسى وهارون ابن يزيد وهاشم بن عبد العزيز البربرى وسمير بن آدم وسمير بن زياد الخوارزمى

فهؤلاء المكثرون عنه وأما المقلون فهم إسحق بن إسرائيل وحاجب بن الوليد وحجاج بن يوسف بن قتيبة وخلف بن هاشم البندار وزكريا بن يحي الأنماطي وأبو حيف شريح بن يزيد وصالح الناقط وعبد الواحد بن ميسرة القرشي وعلى ابن خشنان وعمر بن نعيم بن ميسرة وعروة بن محمد الأسدى وعوف بن الحكم ومحمد بن ذريق ومحمد بن سعدان ومحمد بن عبد الله بن يزيد الحضرمى ومحمد بن عمر الرومى ومحمد بن المغيرة ومحمد بن يزيد الرفاعي ويحي بن زياد الفرا ويعقوب الدرقي ويعقوب الحضرمى روى عنه الحروف ـ وقال الحافظ أبو عمرو الدانى إن عبد الله بن ذكران سمع الحروف من الكسائى حين قدم دمشق وقال ـ قال النقاش قال ابن ذكوان أقمت على الكسائى أربعة أشهر وقرأت عليه القرآن غير مرة قال أبو عبد الله الذهبي لم يتابع النقاش أحد على هذا والنقاش يأتى بالعجائب دائما وأما الحافظ بن عساكر فلم يذكر شيئا من ذلك ولا ذكر الكسائى فى تاريخ دمشق أصلا قلت أخبرنى الحسن بن هلال بقراءتى عليه أخبرنا أبو الحسن على بن أحد عن عبد الوهاب بن سكينة وشعبان بن مندد قال أخبرنا الحسن بن أحمد الحافظ أنبأنا محمد بن الحسينى الشيبانى أنبأنا محمد بن على الخياط أنبأنا السوسنجردى أنبأنا عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبى هاشم أجازة حدثنا أبو غانم عمر بن سهل بن الحسينى بن على النحوى حدثنا شاهي عن الزندانى عن نصير قال دخلت على الكسائى فى مرضه الذى مات فيه فأنشأ يقول :

قدر أحلك ذا النخيل وقد أرى ... وأبى ومالك ذوا النخيل بدار
ألإكدار كمو بذى بقر اللوى ... هيهات داركمو من المزوار

قال نصير فقلت كلا ويمتع الله الجميع بك قال إنى قلت ذلك إنى كنت أقرىء الناس فى مسجد دمشق فأغفيت فى المحراب فرأيت النبى ﷺ فيما يرى النائم داخلا من باب المسجد فقام إليه رجل فقال بحرقة من يقر فأومأ إلى قلت فهذا تصريح منه بدخوله دمشق وإقرائه بمسجدها ولو اطلع أبو القاسم

ابن عساكر الحافظ على هذا لذكره فيمن دخل دمشق فإنه ذكر غيره بأخبار واهية ولا يمنع دخول الكسائى دمشق فإنه كان أولا يطوف البلاد كما ذكره غير واحد وإنما أقام ببغـــداد فى آخر وقت وقد ذكر هذه الحكاية أيضاً أبو الحسن طاهر بن غليون فى كتابه التذكرة وروى عنه من الأئمة غير من تقدم الإمام أحمد بن حنبل ويحى بن معين وقال ما رأيت بعينى هاتين أصدق لهجة من الكسائى وقال الشافعى رحمه الله من أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى وقال الفضل بن شاذان لما عرض للكسائى على حمزه خرج إلى البدو فشاهد العرب وأقام عندهم حتى صار كواحد منهم ثم دنا إلى الحضر وقد علم اللغة وقال أبو عبيد فى كتاب القراءات كان الكسائى يتخير القراءات فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً وكان من أهل القراءة وهى علمه وصناعته ولم يجالس أحداً كان ولا أقوم بها منه وقال ابن مجاهد فاختار من قراءة حمزة وقراءة غيره قراءة متوسطة غير خارجة عن آثار من تقدم من الأئمة وكان أمام الناس فى القراءة فى عصره وكان يأخذ الناس عنه ألفاظه بقراءته عليهم .

قال أبو بكر الإنبارى اجتمعت فى الكسائى أمور: كان أعلم الناس بالنحو وأحدهم فى الغريب وكان أوحد الناس فى القرآن فكانوا يختارون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم فيجمعهم ويجلس على كرسى ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادىء .أخبرنا شيخنا أبو حفص عمر بن الحسن المرنى قراءة عليه عن أبى الفتح يوسف بن يعقوب الشيبانى أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندى اثباتا أبو منصور القزاز أخبرنا أبو بكر أحمد بن على الحافظ قال أخبرنى العتيقى وهو أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد العتيقى انبأنا محمد بن العباس حدثنا جعفر بن محمد الصندلى انبأنا ابو ابو بكر بن حماد عن خلف قال كان الكسائى إذا كان شعبان وضع له منبر فقرا

هو على الناس فى كل يوم نسف سبع يختم ختمتين فى شعبان وكنت اجلس اسفل المنبر ،

فقرأ يوما فى سورة الكهف أنا أكثر منك فنصب أكثر فعلمت أنه قد وقع فيه فلما فرغ أقبل الناس يسألونه عن العلة فى أكثر لم نصبه فثرت فى وجوههم أنه أراد فى فتحه أقل إن ترن أنا أقل منك مالا فقال الكسائى أكثر فمحوه من كتبهم .

ثم قال لى يا خلف يكون أحد من بعدى يسلم من اللحن قال قلت لا أما إذا لم تسلم أنت فليس يسلم منه أحد بعدك قرأت القرآن صغيرا وأقرأته للناس كبيراً وطلبت الإكثار فيه والنحو وقال حدثنى أبى عن بعض أصحابه قال قيل لأبى عمر الدورى لم صحبتم الكسائى على الدعابة التى كانت فيه قال لصدق لسانه

وقال خلف بن هشام البزار عملت وليمة فدعوت الكسائى واليزيدى فقال اليزيدى للكسائى يا أبا الحسن أمور بلغتنا عنك فننكر بعضها فقال الكسائى أومثلك يخاطب بهذا وهل مع العالم من العربية الأفضل بصاق هذا ثم بصق فسكت اليزيدى ، أخبرنى أبو حفص عمر بن الحسن وغيره إذنا عن يوسف ابن المجاور أنبأنا أبو اليمن الكندى أنبأنا أبو منصور الشيبانى أنبأنا أبو بكر الخطيب الحافظ أنبأنا أبو الحسن الحمامى قال سمعت عمر بن محمد الاسكاف سمعت عمر يقول سمعت ابن الدورقى يقول اجتمع الكسائى واليزيدى عند الرشيد فحضرت صلاة فقدموا الكسائى يصلى فارتج عليه قراءة قل يأيها الكافرون فقال اليزيدى قل يأيها الكافرون ترتج على قارىء الكوفة قال فحضرت صلاة فقدموا اليزيدى فارتج عليه فى الحمد لله فلما سلم قال :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى   إن البلاء موكل بالمنطق

واختلف فى تسميته بالكسائى فالذى رويناه عنه أنه سئل عن ذلك فقال لأنى أحرمت فى كساء وقيل إنه يتشح بكساء ويجلس فى حلقة حمزة فيقول

أعرضوا على صاحب الكسائى وقيل من قرية باكسيا والأولى أصحها والأخرى أضعفها وقد ألف من الكتب كتاب معانى القرآن ، كتاب القراءات وكتاب العد وكتاب النوادر الكبير وكتاب النوادر الأوسط وكتاب النوادر الأصغر وكتاباً فى النحو وكتاب العد واختلافهم فيه كتاب الهجاء وكتاب مقطوع القرآن وموصوله وكتاب المصادر وكتاب الحروف وكتاب الهاءات وكتاب أشعار . واختلف فى تاريخ موته فالصحيح الذى أرخه غير واحد من العلماء والحفاظ سنة تسع وثمانين ومائة صحبة هارون الرشيد بقرية رنبويه من أعمال خراسان من عمل الرى حيث كانا متوجهين اليها وماتمعه بالمكان المذكور محمد بن الحسن القاضى صاحب أبى حنيفة فقال الرشيد دفنا الفقه و النحو بالرى وقيل سنة إحدى وثمانين وقيل سنة إثنتين وثمانين وقيل سنة ثلاث وثمانين وقيل سنة خمس وثمانين وقيل سنة ثلاث وتسعين وقال الحافظ أبو العلاء الهمذانى وبلغنى أن الكسائى عاش سبعين سنة ورثاه أبو محمد اليزيدى مع محمد ابن حسن فقال :

تصرمت الدنيا فليس خلود ... وما قد نرى من بهجة ستبيد
لكل امرىء كأس من الموت مترع ... وما إن لنا إلا عليه ورود
ألم تر شيباً شاملا ينذر البلا ... وإن الشباب الغض ليس يعود
سنفنى كما تفنى القرون التى خلت ... فكن مستعداً فالفناء عتيد
أسيت على قاض القضاة محمد ... وفاضت عيونى والعيون جمود
وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا ... بإيضاحه يوما وأنت فقيد
وأقلقنى موت الكسائى بعده ... وكادت بى الأرض الفضاء تميد
وأذهلنى عن كل عيش ولذة ... وأرق عينى والعيون هجود
هما عالمانا أوديا وتخرما ... فما لهما فى العالمين نديد
فخزنى متى يخطر على القلب خطرة ... بذكرهما حتى الممات جديد

أخبرنى بذلك عمر بن الحسن بن مزيد قراءة منى عليه عن على بن أحمد بن عبد الواحد أخبرنا شيخ الشيوخ عبد الوهاب بن على فى كتابه فى بغداد أخبرنا أبو الكرم المبارك بن الحسن أخبرنا أبو بكر أحمد بن عمر السمرقندى أنبأنا أبو على الحسن بن ابراهيم حدثنا أبو الفرج محمد بن أحمد الشنبوذى حدثنا أبو بكر أحمد بن الحسن بن بشار حدثنا أبو عمر حفص بن عمر الدورى قال خرج الرشيد بالكسائى وبمحمد بن الحسن حين خرج إلى طوس فماتا سنة تسع وثمانين ومائة فقام أبو محمد يحي بن المبارك اليزيدى يرثيهما وذكر الأبيات والله أعلم .

رواة البدر السابع على الكسائى

أبو الحارث : حفص الدورى وسنقتصر على ذكر أبى الحارث دون حفص الدورى لوروده فى ترجمة عمرو البصرى لأنه روى عن البدرين الثالث والسابع إذا أردت أن تراجع ترجمته فعليك بترجمة أبي عمرو ولالزوم للتكرار

أما أبو الحارث هو الليث أبو الحارث البغدادى ثقة معروف حاذق ضابط عرض على الكسائى وهو من جلة أصحابه وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الأحولى وعن اليزيدى . روى القراءة عنه عرضا وسماعا سلمة بن عاصم صاحب القراء محمد بن يحي الكسائى الصغير والفضل بن شاذان ويعقوب بن أحمد التركمانى وقد غلط الشذائى فى نسبه فقال الليث بن خالد المروزى وكذا الإهوازى فقال المروزى الحاجب وذاك رجل قديم محدث فى أصحاب مالك يكنى أبو بكر توفى سنة مائتين أو نحوها ويقال له البلخى أيضا وهـذا مات سنة أربعين ومائتين ، والله أعلم .

وهذه ترجمة إمامنا وولى نعمتنا الإمام الأعظم والعالم الحبر المجد

الامام الليث بن سعد بمصر

كتبت فى أعداد سابقة ترجمة مولانا الإمام الشافعى عن بن كثير ونسيت أن أكتب ترجمة جاره سيدى ومولاى الامام الليث بن سعد فتمهلت حتى جعلت ترجمته آخر تراجم السبعة البدور فأقول هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث الفهمى المصرى أحد الأعلام روى القراءة عن نافع وروى عنه ابنه شعيب وابن وهب والحلوانى فى قول الهندل ولم يدركه توفى سنة خمس وسبعين ومائة قبل سيدنا مالك بأربع سنين ومولده سنة أربع وتسعين والله أعلم

انتهى تراجم السبعة البدور وسأكتب إن شاء الله تراجم الثلاثة البدور المتممة للعشرة فى الأعداد الآتية . وفق الله الجميع لما فيه الخير والحمد لله أولا وآخراً وظاهراً وباطناً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ما لاح بدر التمام وفاح مسك الختام .

أحمد ابراهيم هانى
شيخ مقرأة السيدة نفيسة رضى الله عنها

مكة المكرمة

أسماؤها ـ صفاتها ـ فضلها ـ حرمتها

أظل العالم ميلاد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، أعظم نسمة اصطفاها الله تعالى ، لخير الإنسانيه ومجدها ، وانتشالها من وهدة الشرور والآثام ، وتعبيد سبل العزه والكرامة أمامها ، لتقطع مرحلة الدنيا آمنة مطمئنة لاتزعجها مخاوف الضلال ، ولا معاطب المفاسد ، وتصل إلى الآخره غير وجلة مما أعد فيها من العذاب الأليم للعصاه الفجار ، مؤملة فى النعيم المقيم المعد للتقاة الأبرار .

وإن الحديث فى هذه المناسبة الجليلة لأنسب أن يطوف حول مكة المكرمة مستهل النبي الأمين ، ومربع نشأته وصباه ، وقبلة المسلمين ، ومتوجههم بكرة وعشياً .

والحديث عن مكة طويل متشعب ، ولكننا سنسرد مايسمح به المقام ، وفى كتاب شفاء الغرام ، بأخبار بلد الحرام — لأبى الطيب محمد المالكى . وتاريخ مكة — للإمام الأزرقى ، وبلوغ الأدب فى معرفة أحوال العرب . غنية لمن يتشهى المزيد .

وقد آثرت أن أطرف القراء بما ذكره هؤلاء الأعلام عن مكة ، فنقلت إليهم تلخيصاً لما سجلوه فى كتبهم المشار إليها ، لعلنا نعلم ما لا يصح أن نجهله عن بلد تهوى إليه أفئده الإنسانية المتدينة العاقلة :

فقد ذكر الله مكة فى كتابه الكريم باسمين : (مكة ، وبكة) فقال جل شأنه: « وهو الذى كف أيديهم عنكم ، وأيديكم عنهم ببطن مكة . بعد أن أظفركم عليهم » ، ولفظ مكة مأخوذ من قولهم : تمككت المخ من العظم تمككا إذا

استخرجته منه ، لأنها تمك الفاجر عنها ، وتخرجه منها على ما حكاه الأصمعى ، وأنشد قول الزاجر فى تلبيته :

يا مكة ، الفاجر مكى مكا ولا تمكى مذحجاً وعكا(١)

وقال جل ثناؤه : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا » ، وذكر الأصمعى أيضاً أنها سميت بكة ، لأن الناس يبك بعضهم بعضا فيها ، أى يدفع ، وأنشد قول الزاجر :

إذا الشريب أخذته أكه فخله حتى يبك بكه(٢)

واختلف الناس فى هذين الإسمين ، فقال قوم : هى لغتان ، والمسمى بهما واحد ، لأن العرب تبدل الميم بالباء ، فتقول : ضربة لازم ، وضربة لازب ، لقرب المخرجين ، وهذا قول مجاهد ، وقال آخرون : بل هما إسمان ، والمسمى بهما شيئان ، لأن اختلاف الأسماء موضوع لاختلاف المسمى ، ومن قال بهذا اختلف فى المسمى بهما على قولين ، أحدهما : أن مكة اسم البلد كله ، وبكة :

---

(١) عك بن عدنان أخو معد ، وهو فى اليمن ، وقال بعض النسابين : إنما هو معد بن عدنان ؛ فأما عك ، فهو ابن عدنان من ولد قحطان ، وعدنان بالنون من ولد إسماعيل ، ومذحج كمسجد ، أبو قبيلة من اليمن ، وهو مذهج بن يحابر ابن مالك بن زيد بن كهلان من سبا . قال سيبويه : الميم من نفس الكلمة ، وفى القاموس مذحج ـ كمجلس ـ أكة ، ولدت مالكا وطيئا أمهما عندها ، فسموا مذحجا . وذكر الجوهرى إياه فى الميم غلط ، وإن أحاله على سيبويه .

(٢) الشريب الذى يسقى إبله مع إبلك ، يقول : خله يورد إبله الحوض ، فتباك عليه أى تزدحم فيسقى إبله سقيه ، والأكه : الضيق والزحمة ، وأكه يؤكه أكا زاحمه ، وائتك الورد : ازدحم (معنى الورد جماعة الإبل) والمعنى إذ اضجر الذى يورد إبله مع أبلك لشدة الحر انتظاراً فخله حتى يزاحمك .

البيت ، وهذا قول إبراهيم النخعى ، ويحيى بن أبى أيوب . والثانى أن مكة الحرم كله ، وبكة المسجد ، وهذا قول الزهرى ، وزيد بن أسلم .

وحكى مصعب بن عبد الله الزبيرى ، قال : كانت مكة فى الجاهلية تسمى (صلاحا) لأمنها ، وأنشد قول أبى سفيان بن حرب بن أمية :

أبا مطر هلم إلى (صلاح) فيكفيك الندامى من قريش
وتنزل بلدة عزت قديماً وتأمن أن يزورك رب جيش
فتأمن وسطهم وتعيش فيهم أبا مطر هديت بخير عيش

وحكى مجاهد : أن من أسمائها (أم رحم) ، (والباسة) ، فأما ـ أم رحم ـ فلأن الناس يتراحمون فيها ، ويروى (أم زحم) من المزاحمة ، وأما ـ الباسة ـ فلأنها تبس من ألحد فيها ، أن تحطمه وتهلكه ، ومنه قوله تعالى : « وبست الجبال بساً » ، ويروى (الناسة) بالنون ، ومعناه أنها تنس من ألحد فيها ، أى تطرده وتنفيه ، وكانت تسمى (التامسة) (١) ، لا تقر ظلما ولا بغيا ، ولا تبقى فيها أحداً من الملحدين إلا أخرجته ، وكان أبو بكر بن عبد مناه بن كنانة ، وغبان وخزاعه حلولا حول مكة ، فأذنوهم القتال فاقتلوا ، فجعل الحارث ابن عمر بن مضاض الأصغر يقول :

لاهم إن جر هماً عبادك الناس طرف ، وهم تلادك(٢)

فغلبتهم خزاعة على مكة ، ونفتهم عنها .

وسماها الله تعالى البلد الأمين ، فقال : « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين » ، وفى كتاب هداية الحيارى ، قوله : « والتين والزيتون » هما فى الأرض المقدسة التى بعث منها المسيح عليه السلام ، وأنزل فيها الإنجيل ،

---

(١) من غست الشىء إذا أذهبته .

(٢) هى قرية بالشام . ويقال لها : نصرانة ونصورية ، ينسب إليها النصارى أو جمع نصران ، كالندامى جمع ندمان ، أو جمع نصرى ، كمهرى ومهارى .

« وطور سينين » هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى تكليما ، وناداه من واديه الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة التى فيه ، وأقسم بالبلد الأمين ، وهو مكة التى أسكن ابراهيم وإسماعيل وأمه فيه ، وهذا مثل ما ورد فى التوراه : (تجلى الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران) قال ابن قتيبة : ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سيناء إنزاله بالتوراه على موسى من طور سيناء ، كالذى هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون إشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على المسيح من ساعير أرض الخليلى ، بقرية تدعى الناصره (١) ، وباسمها تسمى من اتبعه ـ نصارى ـ وكما وجب أن يكون إشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلاؤه من جبال « فاران » إنزاله القرآن على محمد ﷺ ، وجبال فاران هى جبال مكة . . الخ

وقال تعالى : « لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد » ، وقال تعالى : « وليطوفوا بالبيت العتيق » ، وقال سبحانه : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للنـــاس » ، وكذا ما ذكره الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام : «ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، وارزقهم من الثمرات » ولما خرج رسول الله صلى الله

(١) قال ابن الأثير : هو موضع عند باب الخياطين ، وهو بوزن قسورة . قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : الناس يشددون الحزورة والحديبية ، وهما مخففتان . وفى روض السهيلى : هو إسم سوق كانت بمكة ، وأدخلت فى المسجد لما زيد فيه ، ونقل بعضهم عن مشارق عياض مثل ذلك . وفيه عن الدارقطنى مثل قول الشافعى ، ونسب التشديد للمحدثين قال : وهو تصحيف ، ونسبه صاحب المراصد إلى العامة ، وزاد أنهم يقولون : عزورة بالعين . بدل الحاء ، وقال القاضى عياض : وقد ضبطنا هذا الحرف على ابن السراج بالوجهين .

عليه وسلم من مكة ، وقف على الحزورة وقال : « إنى لأعلم أنك أحب البلاد إلى » الحديث .

ووقف عليه الصلاة والسلام عام الفتح على جمرة العقبة ، وقال : « والله إنك لخير أرض ، وإنك لأحب أرض الله إلى ، ولو لم أخرج منك ماخرجت إنها لم تحل لأحد قبلى ، ولا تحل لأحد بعدى ، وما أحلت لى إلا ساعة من نهار ، ثم هى حرام . . » الحديث ، وعنه ﷺ : « إن من صبر على حر مكة ساعة ، تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام ، وتقربت منه الجنة مائة عام » ، ووجد على حجر بمكة مكتوب فيه : « أنا الله رب مكة الحرام ، وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، لا تزول أخشابها ، مبارك لأهلها فى اللحم والماء » ، ومما يدل على فضلها قول الله تعالى : « وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا » ، وقوله سبحانه : « ولتنذر أم القرى ومن حولها » .

ومن شرفها أنها كانت لقاحا(١) لا تدين لدين الملوك ، ولم يؤد أهلها إتاوة . تحج إليها ملوك حمير وكندة وغسان ولخم ، فيدينون للحمس (٢) من قريش ،

---

(١) يقال : قوم لقح ، وحى لقاح : لم يدينوا للملوك . ولم يملكوا ، ولم يصبهم فى الجاهلية سبأ ، وأنشد ابن الاعرابى :

لعمر أبيك والأنباء تنمى ... لنعم الحى فى الجلى رباح
أبو دين الملوك فهم لقاح ... إذا هيجوا إلى حرب أشاحوا

وقال ثعلب : الحى اللقاح مشتق من لقاح الناقة ، لأن الناقة إذا لقحت لم تطاوع الفحل ، وضعف هذا القول .

(٢) لقب قريش ، ومن ولدت قريش ، وكنانة وجديلة قيس ؛ وهم فهم ، وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان ، وبنو عامر بن صعصعة ومن تابعهم فى الجاهلية ، هؤلاء الحمس ، وإنما سموا لتحمسهم فى دينهم ، أى تشددهم فيه ، وكذا فى الشجاعة ، أو لالتجائهم بالحمساء ، وهى الكعبة ، لأن حجرها أبيض إلى سواد ، وقيل غير ذلك .

ويزيدون فى تعظيمهم ، ويريدون الاقتداء بآثارهم من الشرف والفرائض . وكان أهلها آمنين ، يغزون الناس ولا يغزون ، ويحكمون على الناس ولا يحكم عليهم أحد ، وقد ذكر الشعراء كل ذلك فى شعرهم حين مدحوهم . قال الزبرقانى ابن بدر لرجل من بني عوف هجا أبا جهل ، وتناول قريشاً :

أتدرى من هجوت أبا حبيب سليل خضارم سكنوا البطاحا(١)
وزاد الركب تذكر أم هشاما وبيت الله والبلد اللقاحا

وروى عن سعيد بن أبى سعيد ، قال : سمعت أبا شريح الخزاعى يقول : إن رسول الله ﷺ ، لما افتتح مكة قام خطيباً ، فقال : « أيها الناس إن الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهى حرام إلى يوم القيامة ، لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك بها دماً ، أو يعضد(٢) بها شجراً . وأنها لا تحل لأحد بعدى ، ولم تحل إلا هذه الساعة غضباً على أهلها ، إلا وهى قد رجعت على حالها بالأمس ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فمن قال : رسول الله قتل بها ، فقولوا : إن الله تعالى قد أحلها لرسوله ، ولم يحلها لك » .
وقالت عائشة رضى الله عنها : « لو لا الهجرة لسكنت مكة ، فإنى لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ، ولم يطمئن قلبى ببلدة قط ما اطمأن بمكة ، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة، تريد بقرب السماء منها قرب الرحمة ونحوها، وإلا فجميع أجزاء الأرض بالنسبة إلى بعدها عن السماء سواء .

وقال ابن أم مكتوم رضى الله عنه ، وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطواف :

حبذا مكة من وادى أرض بها أهلى وأولادى
أرض بها ترسخ أوتادى أرض بها أمشى بلا هادى

---

(١) الخضارم بالضم الجواد المعطاء ، والسيد الحمول .
(٢) عضد الشجرة عضداً ، من باب ضرب : قطعها .

وأصل مكة وحرمتها ما عظمه الله سبحانه وتعالى من حرمة بيته حتى جعلها ـ لأجل البيت الذى أمر برفع قواعده ـ أم القرى ، كما قال تعالى : « لتنذر أم القرى ومن حولها » ، وحكى جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن على رضى الله عنهم أن سبب وضع البيت والطواف به أن الله تعالى قال للملائكة : « إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال : إنى أعلم مالا تعلمون » فغضب عليهم ، فعادوا للعرش ، فطافوا حوله سبعة أشواط(١) يسترضون ربهم . فرضى عنهم ، وقال لهم : ابنوا فى الأرض بيتاً ، يعوذ به من سخطت عليه من بنى آدم ، ويطوف حوله كما فعلتم بعرشى ، فأرضى عنهم ، فبنوا له هذا البيت ، فكان أول بيت وضع للناس ، قال تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة ، مباركا ، وهدى للعالمين » الآية ، فلم يختلف أهل العلم أنه أول بيت وضع للناس للعبادة وإنما اختلفوا هل كان أول بيت وضع لغيرها ؟ فقال الحسن وطائفة : قد كان قبله بيوت كثيرة . وقال مجاهد ، وقتادة : لم يكن قبله بيت ، والجمهور يرجح القول الأول ، وعليه أكثر المؤرخين ، وجمع من المفسرين ، وفى قوله تبارك وتعالى : « مباركا » تأويلان ، أحدهما : أن بركة ما يستحق من ثواب القصد إليه ، والثانى : أنه أمن لمن دخله حتى الوحش ، فيجتمع فيه الظبى والذئب « وهدى للمتقين » يحتمل تأويلان ، أحدهما : هدى لهم إلى توحيده والثانى : إلى عبادته فى الحج والصلاة « فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً » فكانت الآية فى مقام إبراهيم تأثير قدميه فيه ، وهو حجر صلد والآية فى غير المقام : أمن الخائف ، وهيبة البيت عند مشاهدته، وامتناع الطير من العلو عليه ، وتعجيل العقوبة لمن عتا فيه ، وماكان فى الجاهلية من أصحاب

---

(١) جمع شوط ، وهو الجرى مرة إلى الغاية ، وفى القاموس أكره جماعة من الفقهاء أن يقال لطوفان الطواف : أشواط .

الفيل ، وما عطف عليه قلوب العرب فى الجاهلية من تعظيمة ، وأن من دخله من الجبابرة ، وهم غير أهل كتاب ، ولا متبعى شرع يلتزم أحكامه ، حتى إن الرجل منهم كان يرى قاتل أخيه وأبيه . ولا يطلبه بثأره فيه ، وكل ذلك آيات الله تعالى ألقاها على قلوب عباده ، وأما أمنه فى الإسلام ، ففى قوله سبحانه وتعالى : « ومن دخله كان آمناً » تأويلان ، أحدهما : أمن من النار ، وهذا قول يحيى بن صعدة ، والثانى : أمن من القتل . لأن الله تعالى أوجب الإحرام على داخله ، وحظر عليه أن يدخله محلا ، وقال رسول الله ﷺ حين دخل مكة يوم الفصل حلالا : « أحلت لى ساعة من نهار ، ولم تحل لأحد من قبلى ، ولا تحل لأحد من بعدى » ثم قال تعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » فجعل حجه فرضاً ، بعد أن صار فى الصلاة قبلة ، لأن استقبال الكعبة فى الصلاة فرض فى السنة الثانية من الهجرة ، والحج فرض فى السنة السادسة .

وقد فتح النبى ﷺ مكة فى العام الثامن للهجرة ، وأشرق الإسلام على السمات فلمح سناه عليها بهاءا وحسناً . وشعت الوحدانية ، فطهرت البيت الحرام من نصب الأوثان ، وطوحتها جزازاً فى غيابة الفناء . وخطرت الفضيلة فى الأرجاء ، تنيط بالهامات جلال الإيمان ، ووقار المخبتين .

عبد الحميد حجازى
كاتب مقرأة السيدة زينب

تفسير سورة الفاتحة

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ حامد محيسن
عضو جماعة كبار العلماء

- ٢ -

قد انتهينا فيما سبق من التفسير إلى قوله تعالى (إياك نعبد) فلنبدأ فى الكلام على بقية السورة فنقول : إلى هنا قد تم بالآيات السابقة إذعان العبد بأن أولاه وآخرته إنما هما لله . وأنه تعالى المنفرد باستحقاق الحمد والتقدير لأنه وحده الممد للعبد بالوجود والمتعهد له بالتربية والمفيض عليه فى كل أطواره .

واسع رحمته والمجازى له على عمله يوم الجزاء على الخير خيراً وعلى الشر شراً ، فهو المهيمن عليه وهو مالك أمره فى حياته . هنا وقد تم ذلك ، أدرك العبد أن لا مناص من الله تعالى إلا إليه فهو المرجع وإليه المصير .

وهنا وقد ملكت نفسه موجة من هذا الشعور كان لابد أن يسائله خاطره إذا كان ذلك شأن الله فى رحمته وعظمته وملكه لكل شىء فهل هناك فى الوجود من يستحق أن يعبد ويقدس وأن يعظم ويكبر سوى من ذلك شأنه . ويكون جوابه هذا السؤال حتما أنه تعالى وحده دون سواه هو المستحق لأن يفرد بالألوهية ويختص بالعبادة ويصور ما اقتنعت به نفسه من الحق المبين وما امتلأ به قلبه من نور اليقين بقوله (إياك نعبد) مما يفيد فى الأساليب العربية اختصاصه بالعبادة أى ياربّاه يا من تولانى برعايته وغمرنى برحمته يا مسبغاً على نعمه وناشراً حولى رحمته يا مالك شأنى كله فى أولاى وآخرتى إن لك

وحدك التقديس وإن لك وحدك العبادة والتنزيه فلا إجلال إلا لك ولا تعظيم لسواك .

ولما دفع العبد إلى الإقرار بوجوب إفراد ربه بالعبادة ما ذكره له تعالى من عظيم النعم وواسع الرحمة . وما أيقن به مما سيقام يوم الجزاء من موازين العدل التى لايضيع معها على العبد أوله مثقال ذرة من خير أو شر .

هذا وقد دفعه ذكر ذلك إلى القيام بواجب المنعم الرحيم والمجازى العادل وجد أن مايقوم به من عبادة مهما أخلص فيها وأطال فليس موفيا حق الله عليه فلم يبق أمامه من سـبيل يسلكه للوفاء بحق ربه أو المقاربة من الوفاء إلا أن يسأله المعـونة حتى يوفى أو يدانى الوفاء وإذ ذاك يقول « وإياك نستعين » .

أى لا أطلب منك المعونة فأنت القدير على كل شىء والعليم بباطن الأمور وظاهرها لاتخفى عليك طوية ، ولا تتوارى عنك نية فإمدادك أنت هو الإمداد ومعونتك هى المعونة .

وهنا يدور بنفس العبد حين يملك نفسه هذا الشعور ويستغرق فى ذكر عظمة الله ورحمته ـ سؤال ـ إذا كنت لاتسأل غيره المعونة ففيم تسأله المعونة أفى شأن دنياك وشخصك أم فى شأن آخرتك وربك ، وهنا يكون الجواب ببيان مايسأل العبد ربه فيه وأن أحب شىء إليه إنما هو هدايته إلى الطريق الذى يوصله إلى أسمى غاياته وأعظم مقاصده فيقول : « إهدنا الصراط المستقيم » .

أى اهدنا ربنا إلى ما يوصلنا إليك ، ودلنا على مانحل به ساحة رضوانك وذلك هو الطريق المستقيم المفضى بنا فى اختصار إلى ساحتك وجنبنا معوج الطرق مما يبطىء بالسائر عن الغاية ومما قد يضل بالسائر عن المقصد .

وهنا إذ يشتد قرب العبد من ربه ، فيزداد احتياطه فيما يؤدى به إلى الغاية

من واضح الطرق وقيمها ، تراه يزداد فى التحرى والاحتياط لذلك لم يكتف العبد بسؤال ربه الهداية إلى الطريق الموصوف بالاستقامة ، بل زاد فى بيان فقال : « صراط الذين أنعمت عليهم» وإنما اختار فى البيان أن يضيف الطريق إلى المنعم عليهم لمعنيين : أولها هو إبراز نفسية المحب المخلص ، وأنه يكون شديد الاحتياط دقيق التحرى عن الطريق الموصل إلى ساحة الرضا فى ثقة تملأ نفسه ، وتفعم قلبه ، ولا يجد فى مثل هذا المقام مايملأ نفسه ثقة ويفعم قلبه طمأنة إلا أن يبين الطريق بأنه الطريق الذى وصل بالسير عليه من قبله من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، كما فصل ذلك غير تلك الآية . وثانيهما : أن من خواطر المؤمل فى نعيم ربه أن يكون تمامه فى رفقة من الناس صالحين وصحب منهم محسنين .

ولما كان قد يتسرب إلى عموم النفس لفظ المنعم عليهم للكافرين والمؤمنين والعاصين والطائعين ، فقد زاد فى تحديد المراد بوصف المنعم عليهم بأنهم « غير المغضوب عليهم » مبالغة فى التحديد وزيادة فى البيان حرصاً على من يتم بهم ومعهم استمتاعه بنعيم ذى الجلال ورضاه .

كما أنه زيادة فى التنصيص على تمييزهم عن غيرهم ممن غضب الله عليهم وممن ضلوا سبيل الرشاد ليكون فى ذلك إيماء إلى شدة حرصه على تجنب سبيل الضالين وإشارة إلى شدة الاحتياط لوضع الحواجز القوية لحفظ نفسه عن أن يفد عليها خواطر غير مرادة ـ وإن خرجت بعد ذلك ـ طريدة التأمل كما هو شأن أساليب القرآن فى أنها لاتدع احتمالا غير مراد يمر بالنفس، كما أنها لاتترك معنى مراداً دون أن تمسكه فى النفس .

ذلك أن نعم الله منها ما قد تشمل الكافر والمؤمن ، والعاصى والمطيع ، فقوله تعالى صراط الذين أنعمت عليهم ، قد لايمنع لأول سماعه أن يتسرب إلى الذهن شموله وعمومه ، فلدفع هذا الخاطر من أول الأمر جيء بذلك التحديد

للمراد من المنعم عليهم وأنهم الفائزون بنعمة الرضا بما آمنوا واتقوا ، والمثابون بحسن الجزاء بما صبروا وأحسنوا ، فليس المراد مطلق منعم عليه ، بل المراد من نعموا برضا الله وحسن جزائه .

ولما كانت المقابلة بين المنعم عليهم والمغضوب عليهم أوضح منها بين المنعم عليهم والضالين ، فقد قدم الأول على الثانى فى الذكر ، وإنما جمع بينهما لأن العبد كما قلنا آنفا كلما اشتد قربه من ربه ، قويت حيطته لطريق فوزه وسلامته واشتد غضبه لمن لم ينالوا بالطاعة والتقرب رضا ربهم ، فكان عن ذلك المبالغة فى بيان كل مايقرب من ربه أن يجنبه طريقهم باستقصاء عناوين الطوائف الذين حادوا عن الجادة ولم يهتدوا سواء السبيل .

ومن هذا تدرك ما اشتملت عليه سورة الفاتحة من تصوير الفطر السليمة فى تدرجها فى الاتصال بربها وترتيبها فيماتطلبه إليه وفق قربها وقوة علاقتها به .

فإن الفطر إذا سلمت وحاطها من الشئون مايعود عليها بالصقل والاستنارة ترى أنها أول ماتشعر به هو ماتحسه من نعمة وما يحوطها من رحمة يبعثها نحو الثناء على الله وحمده لما تدركه من حياطتها بصانعه منذ تكوينها من الطين إلى أن بلغت مبلغ التفكير والاستنتاج وترتيب المعلومات فهى إذ تدرك نشأتها وتنقلاتها فى حياطة ربها وفى صيانة من رحمته تنبعث الى اختصاصه بالحمد والثناء فاذا اتسع أفقها فى التفكير وانبعثت إلى الخلوص من حيرتها فى أن هذا العالم علويه وسفليه وما احتواه من أنواع وأجناس من ناطق وغير ناطق كيف يكون ذلك النظام البديع والملك المتقن لتلك الأيام المعدودة التى تنتهى بموت الناس وفنائهم . هذه الحيره وذلك التردد يبعث النفوس إلى الحكم بأن وراء تلك الحياة حياة أسمى من تلك الحياه وفيها يتفاوت الناس وفق تفاوتهم فيما أتوا فى حياتهم من سىء أوحسن ومن خير أو شر . ذلك هو يوم الدين يوم الجزاء العادل يوم إقامة الموازين . بلغت الفطره ذلك وأن هناك حياة أسمى من تلك

الحياه فيها المقارنة العادلة بين أفراد البشر إلتجأت إلى التقرب من خالقها حتى تؤدى واجب النعم فى الدنيا وتحظى بالجزاء الحسن فى الآخره،فيعلن فى خضوع أنها تعبده وتقدسه ولا تعبد غيره ولا تقدس سواه وإذ تحس الفطرة بواجب العبودية وأنه عظيم قد لاتستطيع له أداء أضطرت إلى سؤال معونته تعالى فاذا عبدت وسألت المعونة اشتدت حيطتها فسألته تعالى الهداية إلى أوثق طريق يؤدى إلى الغاية طريق الدين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين. وبهذا تكون سورة الفاتحة قد أجمل فيها كل ماجاء مفصلا فى الكتب السابقة وفى القرآن فإنها لم تعد شرح ما لله من نعم توجب حمده وبيان وعد ووعيد يوجب اتقاءه وخوفه كمايوجب الرغبة فيه والسعى فى سبيل رضاه ورسم طريق لما يؤدى به واجب العبودية وماتوفى به مظاهر التقديس مبينة طريق الحق الذى سلكه الفائزون وسار عليه المحسنون .

نسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين .

الصلاة وحلاوة الإيمان

إن الله تعالى : خلقنا جميعا لعبادته قال تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » فالعبادة فى تأدية الصلاة بأدب وخشوع لله تعالى والزكاة والصوم والحج وعدم الغيبة والنميمة وجميع ما دعا إليه الدين من أعمال الخير وحظر من أعمال الشر والإثم. وفى الصلاة راحة المؤمنين وهى كبيرة إلا على الخاشعين. وإذا صلى الرجل والمرأة صلاة طيبة بأدب وخضوع لله فإنهما لابد يذوقا حلاوة الإيمان بالله وينقادا لتعاليم القرآن الكريم لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يرشدنا إلى تعاليم ديننا حتى نعبر طريق الحياة فى أمن وسلام ونصل إلى الله سالمين غانمين إنه سميع الدعاء .

السيدة رقيـــة

هى السيدة الجليلة كريمة الأصلين رقية بنت الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ، هى صاحبة المقام المنير الكائن بشارع الخليفة على يمين الذاهب إلى ضريح السيدة النقية نفيسة رضى الله عنها بالقرب من مشهد السيدة سكينة بنت الإمام الحسين السبط ، وهذا المشهد مشهور بنسبته إلى السيدة رقية بنت الإمام على رضى الله عنها . وهذه الشهرة قديمة يثبتها النص المسطور بالقلم الكوفى الفاطمى الموجود بين الكتابات الأخرى التى على واجهة المحراب الخشبي الذى كان بهذا المشهد ونقل إلى دار الاثار العربية والنصوص الأخرى التى على دائرة القبر .

وقد جدد هذا المشهد الأمين عبدالرحمن كتخدا سنة ١١٧٥ هـ.وفى أيام الخديوى عباس باشا الأول أجريت فيه عمارة وبنى المسجد ووسعت التكية ، وتجددت بعض المحلات ، وركبت على الضريح المقصورة الموجودة الان ، وهى من الخشب المحلى بالصدف ، وكانت فيما سلف على المقام الحسينى، فنقلها عبد الرحمن كتخدا إلى مقام السيدة نفيسة ، ثم نقلها الخديوى عباس باشا الأول إلى مقام السيدة رقية . وجددت فيه محلات أخرى كريمة الخديوى المذكور توحيدة هانم ، ووسعت جدران التكية ، وفرشت الأضرحة الموجودة هناك وأنشأ السيد محمد مرتضى فى الجهة القبلية من الضريح تراويه برسم زوجته السيدة أم الفضل التى ماتت قبله ومكتوب على باب المشهد من الخارج هذا البيت :

بقعة شرفت بال النبي وببنت الرضا على رقية

والبانى لهذا المشهد قديما السيدة علم الأميرية زوجة الخليفة المنصور الحاكم بأمر الله . وكان ذلك بملاحظة القاضى مكنون القائم بخدمة السيدة علم

المذكورة . وقد أمرت ببنائه سنة ٥٢٨ هـ . وكان المباشر لهذه العمارة أحد تابعيها المدعو أبا تراب ، واسمه تميم بمساعدة أبي الحسن يمن الفائزى ، فعملت هذه القبة . وهذا الضريح وكمل بناؤه سنة ٥٣٥ هـ ولا يزال باقياً إلى اليوم . ويوجد بدائرته نقوش بالخط الكوفى ومن بينها مذكرة تاريخية نصها مما أمر بعمله الجهة الجليلة المحروسة الكبرى الأميرية التى كان يقوم بأمر خدمتها القاضى أبو الحسن مكنون ، ويقوم بأمر خدمتها الأمـــير السديد عفيف الدولة أبو الحسن يمن الفائزى برسم السيدة رقية بنت أمير المؤمنين على . ونسبة هذا المشهد إلى السيدة رقية المذكورة محل بحث ونظر .

وخلاصة ماظهر أنه إن لم يكن من مشاهد الرؤيا على مايروى ابن الزيات فهو للسيدة رقية بنت الإمام على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن على زين العابدين . ونستصوب هذا لأدلة كثيرة تظهر تظهر للباحث .

وبهذا المشهد قبر السيدة عاتكه بنت زيد بن عمر بن نفيل العدوى القرشى زوجة سيدى محمد بن أبى بكر الصديق الذى تولى حكم مصر فى خلافة الإمام على رضى الله عنه . تزوجها بعد الزبير بن العوام رضى الله عنه ، ودخلت معه مصر ومات كلاهما بها ، وإلى جانب قبتها قبر السيد على الجعفرى ، وهو الحسن الصوفى بن يعقوب بن عيسى بن اسماعيل بن جعفر بن إبراهيم ابن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب ، كان يلقب بالجارح لسكناه بكوم الجارح بمصر ، ترجمه فى بحر الإنساب ، ووصفه بالتقديس والصلاح ، وأم جده الأكبر إسماعيل رقية بنت موسى الجون بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط .

وقد دفن تحت هذه القبة نقيب أشراف مصر فى القرن التاسع ، وهو السيد حسن بن أبى بكر الحسينى . وكان قد عمر هذا المشهد وسكن بجواره وأصله

من ذرية عبد الله بن الإمام موسى الكاظم . ودفن به أيضا الشيخ أحمد بن محمد الدميرى أحد علماء المالكية فى القرن التاسع . وفى رحبة المسجد قبر خاتمة المحققين النسابة السيد محمد بن محمد عبد الرزاق الحسينى الشهير بالسيد مرتضى الزبيدى ينتهى نسبه إلى سيدى زين العابدين . ولد سنة ١١٤٥ وتوفى سنة ١٢٠٦ وضريحه على يمين الداخل إلى قبة السيدة رقية ، وإلى جانبه زوجته السيدة أم الفضل زبيدة ماتت قبله فى سنة ١١٩٦ ووجد عليها وجداً شديداً ودفنها بهذه التربة وعمل لها مقاما ومقصورة وستوراً وفرشا ، واشترى مكانا بجواره وبنى به بيتا صغيراً وزاوية واستمر يلازم التردد إلى قبرها حتى توفاه الله وأوصى أن يدفن بجانبها ، والزاوية باقى محلها إلى الان ، وفى مقابلة ضريح السيدة أم الفضل ضريح السيدة الشريفة قاسمة من ذرية سيدى عبد القادر الجيلانى وهى جدة شيخ هذا المشهد المدعو الحاج أحمد بن محمد الاسكدارى القادرى ؟

حقوق الزوج على زوجته

نرى لزاما علينا قبل التكلم على هـــذا أن نقوم بالنصيحة الخالصة لوجه الله تعالى . إلى ذلك الشاب الراغب فى الزواج أن يختار الزوجة الصالحة ذات الدين ، ويؤثرها على من سواها من ذوات المال والجمال ، لما ورد عن رسول الله ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع خصال : لمالها ، ولحسبها ، ولدينها ، ولجمالها . فعليك بذات الدين تربت يداك » رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة ولقوله ﷺ « لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرقاء ذات دين أفضل . » .

السنة الخامسة

العددان : الثالث والرابع